الفصل العاشر

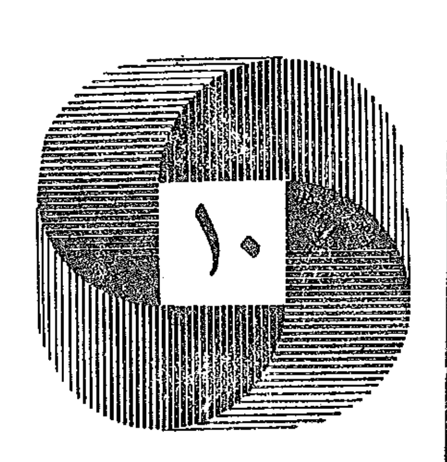
الآشوريون الساميون

في

حضارة وادي الرافدين



- الآشوريون - أصلهم حضارتهم
- الدور الآشوري القديم
- الدور الآشوري الوسيط
- الدور الآشوري الحديث
- مشروع سنحاريب لارواء نينوى
- عبارة جروانة
- مشروع سنحاريب لارواء اربيل
- مشروع ناصربال الثاني لارواء سهل نمرود



" كانت حقول نينوى مهملة قاحلة جرداء لم يكن لاهلها ماء يروون به زروعهم، فكانوا يرفعون انظارهم نحو السماء مستمطرينها الا أنني ارويتها .. اتيت بتلك المياه الوافرة من اواسط جبال تاس العاصية وشيدت القناة بالحجارة وسميتها قناة سنحاريب وفي هذه الايام أنا سنحاريب ملك اشور ورئيس جميع الامراء والذي دانت له البلاد من مشرق الشمس لمغربها قد اسقيت نينوى وارويت ما يجاورها بمياه القنوات التي امرت بتشييدها. وقد اطلقت المياه الى حيث لم تكن تصل فاحييت مزارع اضربها المحل."

الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م)



١ ـ الآشوريون ـ اصلهم وحضارتهم

الآشوريون قوم من الساميين نزلوا سهول الموصل منذ الالف الرابعة او الثالثة قبل الميلاد . وهم منسوبون الى منطقة آشور وهي المنطقة التي يحدها نهر دجلة في الشرق، وتشرف على الصحراء في الغرب والجنوب . واسم «آشور» نسبة الى الاله الآشوري (آشور) فسميت العاصمة الاولى بأسمه وهي المدينة المعروفة اطلالها اليوم بقلعة شرقاط الواقعة على الجانب الايمن من نهر دجلة على بعد حوالي تسعة كيلومترات من جنوبي الشرقاط . وهذه المدينة ذات موقع مهم فالنهر يجري اسفلها ما بين هضاب حتى يعبر الى منطقة من رمل وتلول من الحصى ثم يخرج منها الى السهل الرسوبي ، وفي شمال آشور اودية زاهرة وسهول واسعة وقاحلة فيها مقاطع للحجارة والمرمر والرخام[1] .

وآشور كانت ذات جو اصح من جو بلاد بابل الحار لوقوعها في منطقة شبه جبلية وكان فيها اودية خصبة التربة ، تمتد بين الجبال الشرقية والجبال الشمالية ، وفي تلك المنطقة كانت هضبات صالحة لان يقطع منها الحجارة والمرمر وغيرهما من مواد البناء ، وفي هذا الامر اختلفت آشور كثيرا عن بابل ، فلم يكن ببابل حجارة للبناء ، ولذلك اقتصرت على البناء بالآجر واللبن وكانت تلك الاودية الشرقية من آشور خضراء بما فيها من المروج والمراعي الحيوانية ، وحقول الحنطة والشعير ، وكانت قطعان الماشية والضأن والماعز على جوانب الهضاب والتلول . وفي تلك المنطقة عاش السكان على الزراعة القائمة على المطر وتطورت معيشتهم في ظلالها، ولكن ذلك لم يمنع سكان بلاد آشور من ان ينشئوا قسما من الصناعات ويقيموا مشاريع ري ضخمة ويوجدوا صلات تجارية بغيرهم . وكان الآشوريون يتكلمون فيما بينهم بلغة سامية قريبة من اللغة التي كان يتكلمها الاكديون في منطقة اكد الجنوبية وكتبوا بالخط المسماري لغتهم الآشورية. واكثر مظاهر الحضارة المبكرة في آشور جاءتها من الجنوب ولكنها كانت في الوقت نفسه معرضة ايضا لتأثيرات من الشمال والغرب فمنذ منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ظهر الحيثيون واتجه فريق منهم شرقا الى

(١) انتصار الحضارة ١٩٨ ؛ الرافدان ٧٥ ؛ مدن العراق القديمة ١٠٣ .

بلاد النهرين دجلةوالفرات، فكانت آشور اذ ذاك في مهب الرياح ، فتارة تخضع لغزاة من الغرب، وتارة لا تلبث ان تقع تحت حكـم الدويلات الجنوبية التي وحدها سرجون الاكدي ثم تحت ملوك اور ثم تحت حكم حمورابي او غيره من حكام بابل • وقد علمت الحرب المستمرة اهـل آشور كيف يحمون حدودهم في الشمال والجنوب ، بعد ان عاشوا في تلـك الحال ، لذلـك فليس غريبا ان كانت هذه الدولة الجديدة قـد بنت قواعدها على اساس حربي، فقد كان لها جنود غير نظاميين ، ثم حل محلهم جيش منظم ، وهو القوةالرئيسية للدولة الآشورية• وتطورت هذه الدولة الى تنظيم ثابت محكم لم تؤثر فيه المنافسات التي كانت بين الدويلات، وساعدت الاشوريين على ذلك انهم كانوا قد بدأوا باستعمال الخيل والعجلات في جيشهم ، وفي النهاية اصبحوا اعظم قوة حربية رآها العالم القديم• وفي الزمن المذكور كانت التجارة رائجة من بلادهم واليها، وتوثقت صلاتهم بالشعوب الآخرى المجاورة، فأزدادوا قوة واموالا ، وكانت قوافل تجارتهم تبلـغ آسيا الصغرى ، وسلكوا ايضا الطرق الغربية للتجارة(٢) (انظر التصوير رقم ١٩٧) •



التصوير رقم (١٩٧)
جانب وجه آشـوري

٢ ـ الآشوريون في ادوارهم التاريخية

ولما كانت الحقبة التي عاشتها بلاد آشور طويلة تخللتها عدة تقلبات اساسية ، فقـد رأى علماء الآثار تقسيم تاريخ بلاد آشور الى ثلاثـة ادوار رئيسية هي :

١ ـ الدور القديـم •

٢ ـ الدور الآشوري الوسيط •

٣ ـ الدور الآشوري الحديث •

وفيما يلي نبذة عن كـل منهـا :

---

(٢) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ ، ١٤٣ ـ ١٤٥ •

أ ـ الدور الأشوري القديم (٤٠٠٠/٣٠٠٠؟ـ١٥٩٥ ق٠م٠)

يبدأ هذا الدور بتأسيس مدينة آشور في حوالي اواخر الالف الرابعة او أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد وينتهي في نهاية حكم مملكة بابل القديمة سنة ١٥٩٥ ق٠م٠ (انظر ما تقدم عن مملكة بابل القديمة في الفصل التاسع) ٠ وقد كان هذا الدور مضطربا لم يكن للآشوريين فيه كيان سياسي ثابت ، ففي عهد المملكة الأكدية خضعوا للحكم الأكدي ، ثم استقل بعض امرائهم وفي أوائل العهد البابلي القديم (سلالة بابل الاولى)كونوا مملكة مستقلة بأسم مملكة آشور الا ان بعد ظهور حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق٠م٠) قضي على استقلالها ٠

ب ـ الدور الآشوري الوسيط (١٥٩٥ـ ٩١١ ق ٠ م ٠)

لقد عانى الآشوريون ظروفا حرجة في هذا الدور ، ولكن على الرغم من تعرضهم لهجمات القبائل الارامية وغزو الشعوب الجبلية كالحيثيين والحوريين تغلبوا على الشدائد وخرجوا بعدها أقوياء منتصرين محافظين على كيانهم السياسي٠وقد ظهر في هذا الدور عدد من الامراء الآشوريين الاقوياء منهم آشور اوبلط الاول (١٣٦٥ـ١٣٣٠ ق٠م٠) الذي قضى على الحوريين وضم مملكتهم (ميتاني) الى الدولة الآشورية ٠ وقد توسعت المملكة الآشورية في عهد أداد نيراري الاول (١٣٠٠ ق٠م٠) حتى الفرات شمالا الى كركميش(جرابلس الحالية) ٠ وفي زمن شيلمنصر الاول (١٢٧٦ـ١٢٤٥ق٠م٠) اتسع نفوذ الدولة الآشورية شرقا في المنطقة الجبلية فضلا عن امتدادها الى الغرب والجنوب٠ثم بعد انتكاس دام زهاء ١٣٠ عاما اعاد الملك تجلات بلاسر الاول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق٠م٠) الى المملكة هيبتها وسلطانها وامتدت فتوحاته الى الاقطار الشرقية والشمالية٠ ثم تولى بعده ملوك ضعفاء تدهورت أحوال المملكة في أيامهم ، فأنتهزت القبائل الارامية هذه الظروف لتوسيع سلطانها بأتجاه الشرق فشكلت دويلات أرامية قوية في سورية وفي العراق بلغت ذروة أزدهارها في القرنين الحادي عشر والعاشر ق٠م٠استطاعوا اعادة كيان الدولة وتأسيس جيش قوي كان نواة الجيوش الغازية في العهد الآشوري الحديث على أثر تسلم الملك «اداد نيراري الثاني» الحكم سنة ٩١١ ق٠م٠ وفي العهد الاخير أصبح للاشوريين دولة قوية ذات شأن يحسب لها حساب في منطقة الشرق القديم ٠

ج ـ الدور الآشوري الحديث (٩١١ ـ ٦١٢ ق٠م٠)

يقسم هذا الدور الى دورين : الامبراطورية الاولى ، ثم الثانية تفصل بينهما فترة انتكاس ، وينتهي هذا العهد بسقوط نينوى عاصمة الاشوريين الاخيرة عام ٦١٢ ق٠م٠ وبذلك يكون قد استمر هذا العهد ثلاثة قرون بلغ عدد الملوك الذين حكموا فيه ١٦ ملكا دونوا اخبارهم وحملاتهم العسكرية وانجازاتهم الاعمارية ٠ وقد تمكن الآشوريون خلال هذه الفترة من أعادة توسيع مملكتهم فأسسوا امبراطورية سامية عظيمة وقد بلغت من القوة بحيث سيطرت في ذروة اتساعها على

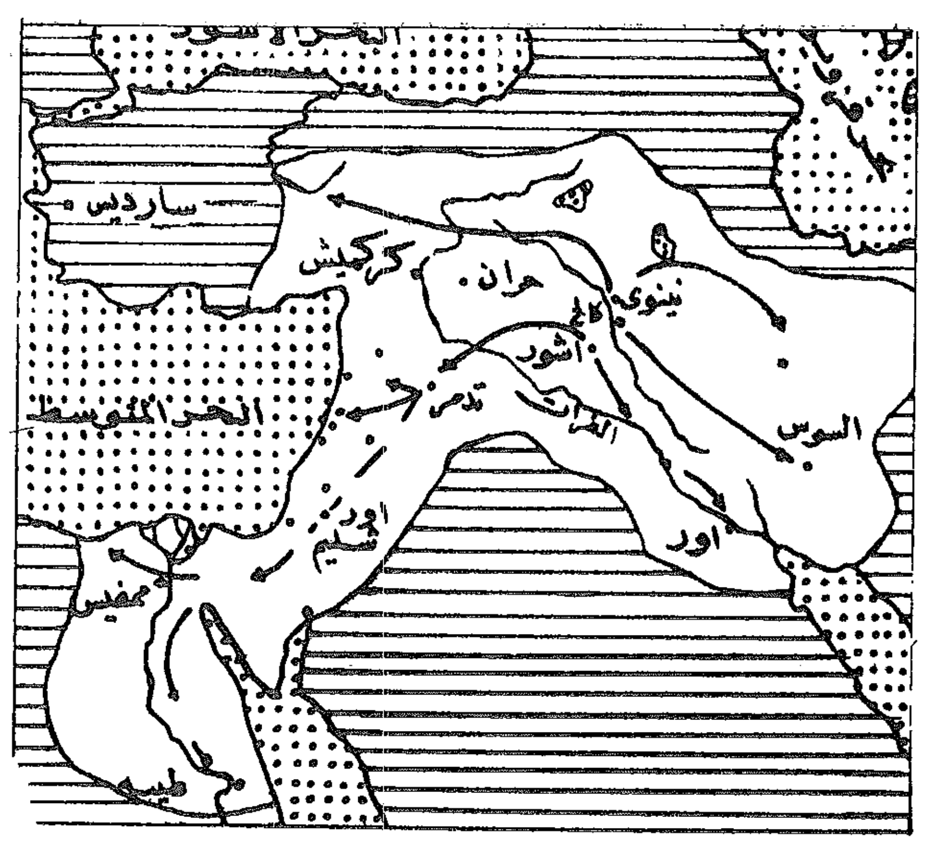
منطقة الشرق الاوسط كلها ومن ضمنها آسـيا الصغرى وسواحل ايجه ومصـر والخليج العربي وعيلام ، هذا عدا فتوحاتهم للمناطق الجبلية في الشرق والشمال حتى بلاد أرمينية • (انظر المرتسم رقم ٢٧) وقد ترك الاشوريون أربـع عواصم شخصت مواقع اطلالها : اولاها آشور وقد سبقت الاشارة اليها ، والثانية ، «كالح» تعرف أطلالها محليا بأسم نمرود تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة على بعد حوالي ٣٢ كيلومترا من جنوب شرقي بلدة الموصل ، والثالثة نينـوى تقع أطلالها على مسافة كيلومتر من الموصل على الجانب الايسر من نهر دجلة، اما الرابعة فهي دورشروكين تقع في قرية خرسباد شمال شرقي الموصل على بعد حوالي ١٨ كيلومترا منها (انظر المرتسم رقم ٢٨) • والذي يعنينا هنا من بحث هذا الدور بوجه خاص الدور الرئيسي الذي لعبه في القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا وسبي سكانها اليهود الى اماكن بعيدة • ومن الحملات التي شنها تجلات بلاسر حملته على مملكة آرام فأستولى على عاصمتها دمشـق سنة ٧٣٢ق • م • وسبى اهلها وقتل ملكها رصين ثم توجه الى فلسطين فاسـتولى على كل ارضهـا وسبى اليهود الى آشور تاركا لهم مدينة السامرة •

وفي عهد شلمنصر الخامس، خلف تجلات بلاسر ، جرد هذا الملك حملة على فلسطين أيضا فحوصرت عاصمتها السامرة ثلاث سنوات ، وفي نهاية عام ٧٢٢ ق•م• تم احتلال المدينة على عهد سرجون الثاني خلف شلمنصر ، وبذلك تم القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا •

ومن أهم حملات سنحاريب (٧٥٠ ـــ ٦٨١ق• م •) خلف سرجون الثاني حملته على مملكة يهوذا التي بقيت بعد قضاء شلمنصر الخامس وسرجون على اسرائيل تنتظر دورها، على الرغم من اسناد مصر ليهوذا فقد انتصـر سنحاريب على قواتهما واحتل مدن يهوذا وحاصر اورشليم ولم يفك الحصار عنها الا بعد ان تسلم الجزية من ملك يهوذا •

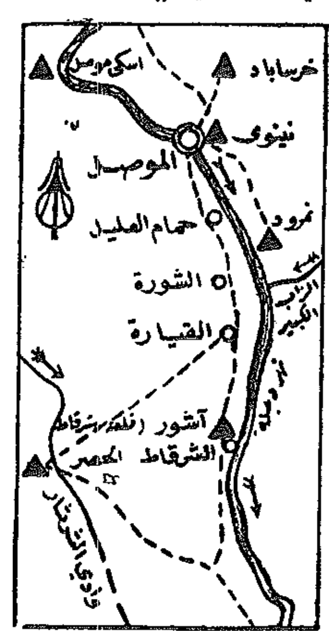
وفي عهد اسرحدون بن سنحاريب (٦٨١ ـــ٦٦٩ق•م•)جهز هذا الملك حملتين على مصر وتمكن في الحملة الثانية من الاستيلاء على الدلتا ومن ضمنها « ممفيس » العاصمة المصرية الشهيرة وعلـى اكثر مدن مصر العليا • وبذلك يكون اسرحدون قد فاق اسلافه من ملوك اشور شهرة بسبب غزوه لمصر وانتصاره عليها ، وهي أقوى دولة في الشرق القديم نازعت نفوذ الاشوريين في سوريـة وفي فلسطين طيلة مدة الحكم الاشوري • ولما ثار ترهاقة ملك مصر ، جهز آشور بانيبال خلف أسر حدون (٦٦٩ـــ٦٢٦ ق•م•) جيشا قويا وحارب ترهاقة وتمكن من فتح ممفيس من جديد ولحق به حتى مصر العليا واستولى على طيبة العاصمة الجنوبية لمصر وبذلك خضعت مصـر جميعها للحكـم الآشـوري •

وقد شاء القدر أن يقضي على ازدهار هذه الامبراطورية العظيمة فبعد وفاة آشور بانيبال حدثت اضطرابات في الدولة الآشورية من اجل وراثة العرش ، وقد ورثه ابنه آشـور ـــ اطـل ايلاني، وكان عليه ان يحارب ثائرا طامعا في العرش فانتهزت بابل هذا الاضطراب الداخلي وانتفضت عن



المرتسم رقم (٢٧)

خارطة حدود الامبراطورية الآشورية في عهد آشور بانيبال (٦٥٢ ق.م.)



المرتسم رقم (٢٨)

العواصم الآشورية الاربع

آشور ، كالح ، نينوى ، دور شروكين

الامبراطورية الاشورية بقيادة زعيم الكلدانيين نبوبلسر سنة٦٢٦ ق٠م٠ وحذت فلسطين في الغرب حذو بابل وكذلك فعلت المدن الفينيقية، واتحد نبوبلسر مع ملك الماذيين واتفقا على ضرب الدولة الآشورية واقتسام اصقاعها ، فحالفهما النجاح حيث استولت جيوشهما الجرارة على نينوى سنة ٦١٢ق٠م٠ وبذلك قضي على الامبراطورية الاشورية[٢] ٠ وفيما يلي تواريخ حكم ملوك آشور في فترة الامبراطورية الاشورية الثانية : ـ

تجلات بلاسر الثالث	٧٤٥ـ٧٢٧	ق٠م٠
شلمنصر الخامس	٧٢٧ـ٧٢٢	ق٠م٠
سرجون الثانـي	٧٢٢ـ٧٠٥	ق٠م٠
سنحاريب	٧٠٥ـ٦٨١	ق٠م٠
اسرحدون	٦٨١ـ٦٦٩	ق٠م٠
اشور بانيبال	٦٦٩ـ٦٢٦	ق٠م٠

سقوط الامبراطورية اثـر سقوط نينوى (العاصمة) سنة ٦١٢ ق٠م٠

ومن اهم مشاريع الري الكبرى التي اقامها الاشوريون في هذا الدور مشروع الملك سنحاريب لارواء منطقة العاصمة نينوى ٠

٣ ـ مشروع سنحاريب لارواء منطقة نينوى :

يعد هذا المشروع من اهم واضخم مشاريع الري القديمة التي انشأها الاقدمـون في شمال العراق في العصور الغابرة وهو بالتأكيد مـن المشاريع العظمى التي يتجلى فيها الفن والابداع بأجلى بيان ، مما يدل على تقدم الآشوريين في الفنون على اختلافهـا وخاصة في شؤون الري٠ وقد كان الدافع الرئيس الذي حمل الملك سنحاريب (٧٠٥ـ٦٨١ ق ٠م٠) على انجاز هذا المشروع هو ايصال الماء بالطريقة السيحية الى عاصمته « نينوى » التي لا تزال تشاهد آثارها على الجانب الايسر من نهر دجلة مقابل مدينة الموصل الحالية[٣] فبعد اعتلائه عرش الامبراطورية الآشورية المترامية

---

(٢) انظر «لماذا سقطت الدولـة الاشورية ؟ »الدكتور سامي سعيد الاحمد ، **سومر** م ٢٧(١٩٧١) ص ١٠٩ ـ ١٢٧ ٠

(٣) كان معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو قد شعر باهمية هـذا المشروع مـن الناحيتين التاريخية والاثارية فاودع مهمـة دراسته والتنقيب عنه بالاتفاق مع مديرية الاثار العامة الـى الخبيرين الاثاريين جاكوبسن ولويد ، فبعد ان انتهيا من انجاز هذه المهمة دونا نتائج دراستهما في كتاب خاص معزز بخرائط وشروح وتصاوير نشرته جامعـة شيكاغو في سـنة ١٩٣٥ بعنـوان « عبارة سنحاريب في جروان » ٠

Thorkild Jacobsen and Seton Lloyd, "Sennacherib's Aqueduct at Jerwan," The University of Chicago Press, 1935.

الاطراف على أثر وفاة والده « سرجون الثاني » في سنة ٧٠٥ق٠م٠انتقل من «دور شاروكين»[٤] عاصمة والده الاخيرة الى مدينة نينوى (العاصمةالعتيقية) فجدد ابنيتها وبنى فيها قصورا جديدة وزين جدرانها بمنحوتات وتماثيل تعد من روائع الفن الآشوري وشيد حولها اسـوارا وحصونا حتى اصبحت فردوس الارض بل الدنيا تفوق مدن الشرق قاطبة بجمالها واتساعها ٠ وقد بلط شوارعها وربطها مع المدن الاخرى كاربيل وآشور بطرق عريضة معبدة بالحجارة مما يسهل سير العجلات عليها في كل مواسم السنة[٥] واستخدم الانهر فاتخذ منها طرقا مائية لمواصلاته[٦] ٠ وجعل سنحاريب قصره الفخم في نينوى مركزا لعرش امبراطوريته يحكم منه العالم الآشوري وجميع الشعوب الخاضعة له ، وكان سنحاريب مولعا بالبستنة والتشجير وشغوفا بالطبيعـة والريـاض

وقد كان الاصح في نظرنا ان يعنون الكتاب بـ « مشروع سنحاريب لارواء منطقة نينوى » ، لان العبارة التي عنون الكتاب باسمها لم تكن الا جزءا من المشروع كما يتضح من هذا البحث .
وقد بحث الاستاذ فؤاد سفر في هذا المشروع في مقال له نشر في مجلة **سومر** الجزء الاول من المجلد الثالث لسنة ١٩٤٧ ص ٧٧-٨٤ . فاستند في بحثه هذا على دراسة جاكوبسن ولويـد المذكورة وقد ارفق مع مقالته خارطة وبعض التصاوير الفوتوغرافية (راجع ايضا نفس العدد ، القسم الانكليزي ، من ٢٣-٢٥ والعدد السابق من المجلة ، الجزء الثاني من المجلد الثانـي لسـنة ١٩٤٦ (ص ٢٧٦-٢٧٩) .

(٤) يعرف اليوم موقعها باسم « خرسباد » وهو الاسم المحرف من خسر اباد وخرسباد هذه تقع على نحو ١٣ كيلومترا الى الشمال من نينوى (راجع خارطة مشروع قناة سنحاريب وعبارة جروان / المرتسـم رقم ٢٩) .

(٥) يصف سنحاريب في منحوتتين يظهر فيهمـا برداء طويل وعلى راسه خوذة وفي حزامه خنجـر اعماله حول توسيع مدينة نينوى وشوارعها وان اهم هذه الشوارع الشارع الملكي الاعظم ، وقـد نقش على حجر عثر عليه في الناحية الجنوبيةالشرقية من قصر سنحاريب في نينوى في الطريـق المؤدي الى اربلا هذا الامر : « ان هـذا الطريق الملكي الاعظـم يجـب ان لا يصغر (اي لا يقلـل عرضه) ان عرض هذا الشارع (٧٨) قدما فاذا تجاوز عليه احد المواطنين بضم قسم منه الـى داره عند اعادة بنائها او عند قيام احدهم ببناء جديد فتثبت حدود الشارع بالاوتاد لمنعالتجاوز. ويعتقد الاستاذ اولمستيد ان ذلك هو نفسالطريق الملكي الاعظم في عهد الفرس ، راجع كتابـه الموسوم بـ « تاريخ آشور » ص ٣٣٤ .
A.T. Olmstead, "History of Assyria," 1923, p. 334.

(٦) بنى سنحاريب ، كما تدل كتاباته ، اسطولا نهريا على نهرى دجلة والفرات واودع ادارة شؤونه الى احذق البحارة الذين استخدمهم من بلاد الحبشيين ، فانشا اسطول دجلة في نينوى وانزله الى النهر وانحدر به جنوبا حتى مدينة اوبيس (في جوار مدينة بغداد الحالية) ثم نقله الى نهـر الفرات فأدخله في نهر « اراهتو » (انظر ماتقدم عن نهر اراهتو) . كذلك انشا اسطولا اخـر على نهر الفرات في « تيل بارسيب » (Til Barsip) في سورية وانزله في النهر وسار به جنوباحتى التقى الاسطولان على نهر الفرات تمهيدا لتوجيه حملته في الجنوب . (راجع : « تاريخ آشور » لاولمستيد المتقدم ذكره ص ٢٩٠ و « تاريخ سنحاريب » لسميث ص ٩٠-٩٤ ، وعنوان الكتاب الاخير بالانكليزيـة :
G. Smith, "History of Sennacherib, 1978, pp. 90-94.

والمتنزهات ، ولما كانت « دور شاروكين » التـي كان والده قد اتخذها عاصمة له خالية من الاشجار والبساتين فكان من جملة اعماله التـي اعارها اهتمامه انه انشأ رياضا وحدائق واسعة حـول عاصمته « نينوى » وغرس فيها انواع الاشجار والكروم التي جلبها معه فـي حملاته الحربية من الاصقاع البعيدة عن نينوى. وقد سر كثيرا بنمو هذه الاشجار وازدهارها في تربة ومناخ نينوى ، وقد عبر عن ارتياحه لذلك فقال : « وبقدرة الالهة اصبحت الكروم والسـرو والاعشاب تزهو في تلك الحدائق اكثر مما كانت عليه في مواطنها الاصلية ونما التوت وغيره من الاشجار بكثيرة وتفرع » . وكان سنحاريب يباهي بالحدائق والنباتات التي استنبتها حتى لقد زرع في حقوله شجرة القطن بعد ان استجلبها من بلاد الهند[٧]. « وهي الشجرة التي حملت صوفا فجزوا ذلـك الصوف ومشطوره (حلجوه) واتخذوا منه ملابس » . ويقول سنحاريب انه وسع رقعة المنطقة التي امدها بالماء فوزع الاراضي المجاورة لنينوى على جميع الاهلين وزودهم بجميع انواع الاشجار التي جلبها من اقصى المعمورة حتى شملت جميع الاراضي بين نينوى ومدينة تربيسو[٨] الواقعة على بضعة اميال شمال غربي نينوى . وقد لام سنحاريب اسـلافه كما ورد في احدى كتاباتـه لاهمالهم نينوى وقصورها وشوارعها وتركهـم منطقة نينوى بدون ماء كاف لارواء حقولها[٩] .

---

(٧) كتاب اولمستيد « تاريخ آشور » مصدر سابق ص ٣٣١ .

(٨) ان مدينة « تربيسو » هذه كانت في الموقـع نفسه الذي تقوم فيه اليوم قرية شريف خان الواقعة على ساحل دجلة الايسر على بعد حوالي ثلاثة اميال من شمال « تل قوينجق » . وقد اجرى لايارد حفريات استطلاعية في بعض التلول التي بجوار القرية وعثر فيها على آثار مهمة منها آثار بناء من الاجر تدل الكتابات المنقوشة على بعضها على ان هذه التلول هي من بقايا قرية « تربيسو » . وقد توصل من بعض الكتابات على لوحين حجريين عثر عليهما في هذا الموقع ان الملك اسرحدون (٦٨٠–٦٦٩ ق.م) هو الذي شيد هذا البناء لاحد اولاده . وقد وجد لايارد كتابات على بعض الاجر تحمل اسم سرجون وعلى البعض الاخر اسم سنحاريب وقد اشير فيها الى معابد الالهـة الاشورية التي شيدها سرجون كمعبد الـه الشمس ومعبد الاله مارس وغيرهما . وقد اشـار لايارد الى اثار جدول قديم بجانب هذه التلول يعتقد انه كان يأخذ من دجلة ليروي السهول المجاورة ويضيف الى ذلك انه قد يخطىء البعض فـي الظن ان هذه الاثار تمثل آثارا لسور او جـدار . راجع كتاب لايارد « اكتشافات في خرائب نينوى وبابل » في ص ٥٩٨–٥٩٩ وعنوانه بالانكليزية:
A.H. Layard, "Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon," 1853, pp. 598-599.

(٩) كتاب جاكوبسون ولويد المتقدم ذكره ص٣٤ و « دليل اثار بابل واشور » الذي وضعه المتحـف البريطاني ص ٣٦ وعنوان الكتاب الاخير :
British Museum, "A Guide to the Babylonian and Assyrian Antiquities," 3rd ed., 1922, p. 36.

٤ ـ مجمل عن المشروع

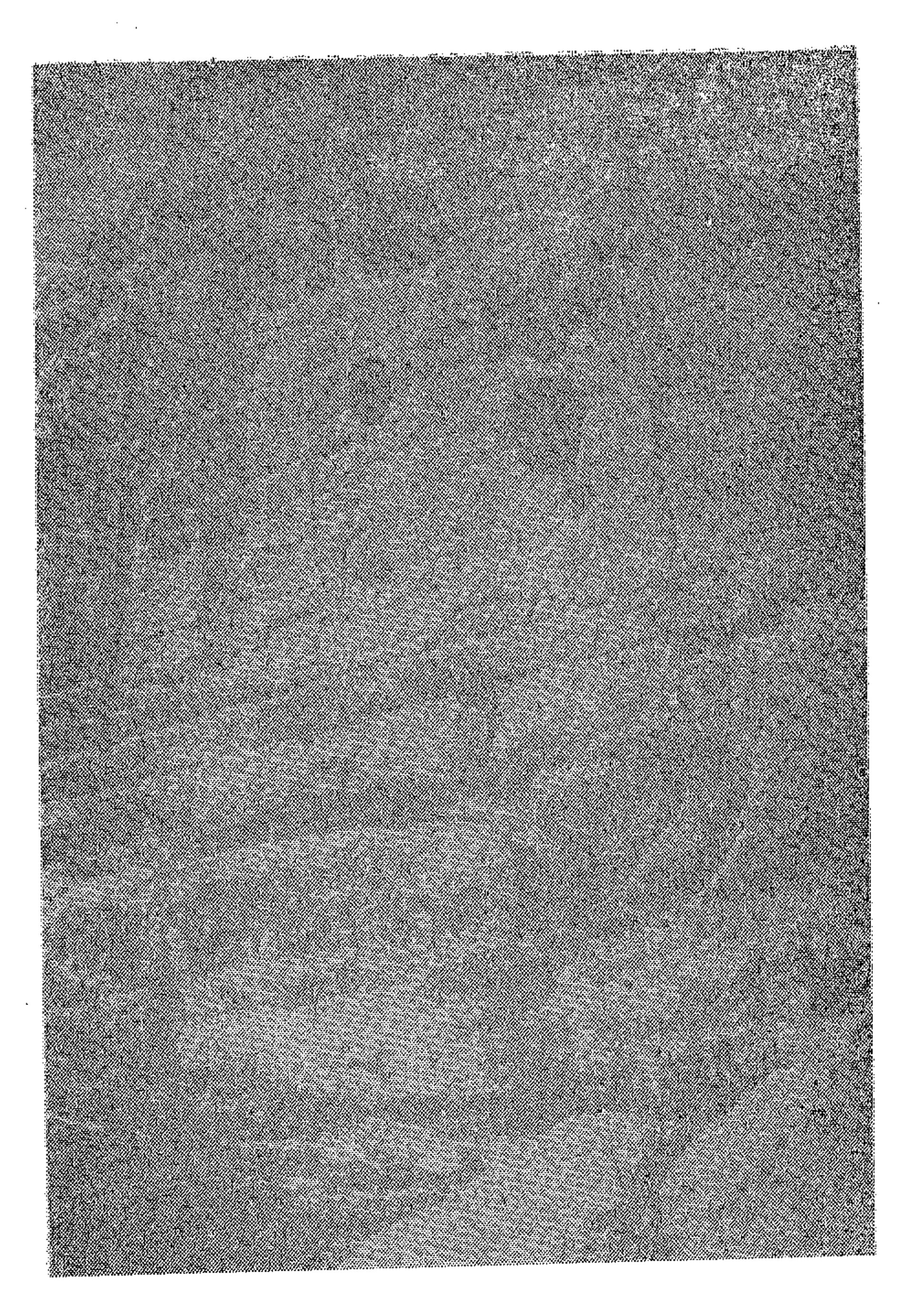
(ولارواء البساتين والحدائق قام سنحاريب بانشاء سد على مجرى نهر الخوصر[١٠]، وقد كان يعرف هذا النهر آنذاك بنفس اسمه الحالي ، وحول مياهـه الى قناة تأخذ من امام السد وتسير بموازاة النهر غربا حتى تنتهي الى حقول نينوى. وقد وسع سنحاريب العيون التي ينبـع منهـا الخوصر في شمال نينوى واجراها الى الخوصر بقنوات خاصة ومنها الى قناة جديدة ، الا ان هذا المشروع لم يعد يكفي لارواء الحقول الواسعةالتي احياها فيشمال نينوى، لذلك اتجه الىالرافد الكومل في الناحية الشرقية من الخوصر ، وهو الرافد الذي يمر من قرب اتروش ويصب في نهر الخازر وجاء بالمياه من ينابيع هذا الرافد في جبلبافيان واجراها في قنوات الى الكومل ، ثم اقام سدا على هذا الرافد في مضيق بافيان لحجز المياهوخزنها امام السد وشق نهرا منامام السد يتفرع من الجانب الغربي للكومل في نقطة تقع بالقرب من قرية « خنس » الحالية وينتهي في الخوصر فنينوى بمسافة اكثر من خمسين ميلا[١١] . وعند فوهة هذا الجدول فيالجانبالغربي منالمضيق نحتت عدة منحوتات فيها صور ناتئة وكتابات تشمل على تفاصيل المشـروع الـذي انجـزه سنحاريب ، وصارت تعـرف هـذه المنحوتات بمنحوتات بافيان (انظر التصوير رقم ١٩٨) . وقد ربطت الاودية العميقة التي تعترض مجرى هـذا النهر في طريقه الـى الخوصـر بقناطـر من الحجارة البيض واجري الجدول فوقها، وان اضخم هذه القناطر هي تلك القنطرة الواقعة قرب جروانه حيث تشاهد آثارها الضخمة بصورة واضحة وهي تعد من اعظم الاثار في هذه البلاد ، وتعرف الان لدى الاثاريين بـ « عبارة جروانة »ولا تزال بعض معالم هذا المشروع بينة في عدد من القرى التي تمر من جوارها القناة مثل قـرى شيفشيرين وكندالة ومقبل ومحمودان وباقصرة ومامرشان وجفتة[١٢] . (انظر المرتسم رقم ٢٩).) ـ

---

(١٠) ان نهر الخوصر رافد قديم لنهر دجلة ينبع مـن شمال الموصـل في مرتفعات قضاء الشيخان ويجري جنوبا حتى يصل الى مدينة نينـوى القديمة فيخترقها ويصب في الجانب الايسر مـن نهر دجلة مقابل مدينة الموصل الحالية ويحملهذا الرافد مياه السيول التي تنحدر من المناطـق الجبلية في موسم الفيضان فيبلغ تصريفه عندما يبلغ الطغيان اشده اكثر من الف متر مكعب في الثانية وقد كان ولا يزال منذ توسع الجانـبالشرقي من مدينة الموصل مصدر خطر على هـــذا القسم من المدينة خاصة عندما يكون نهر دجلةفي حالة فيضان ، وقد انشئت سداد واقية علـى ضفة نهر الخوصر اليسرى عند مصبه في دجلةللحيلولة دون تسرب مياه الفيضان الى هذا القسم من المدينــة .

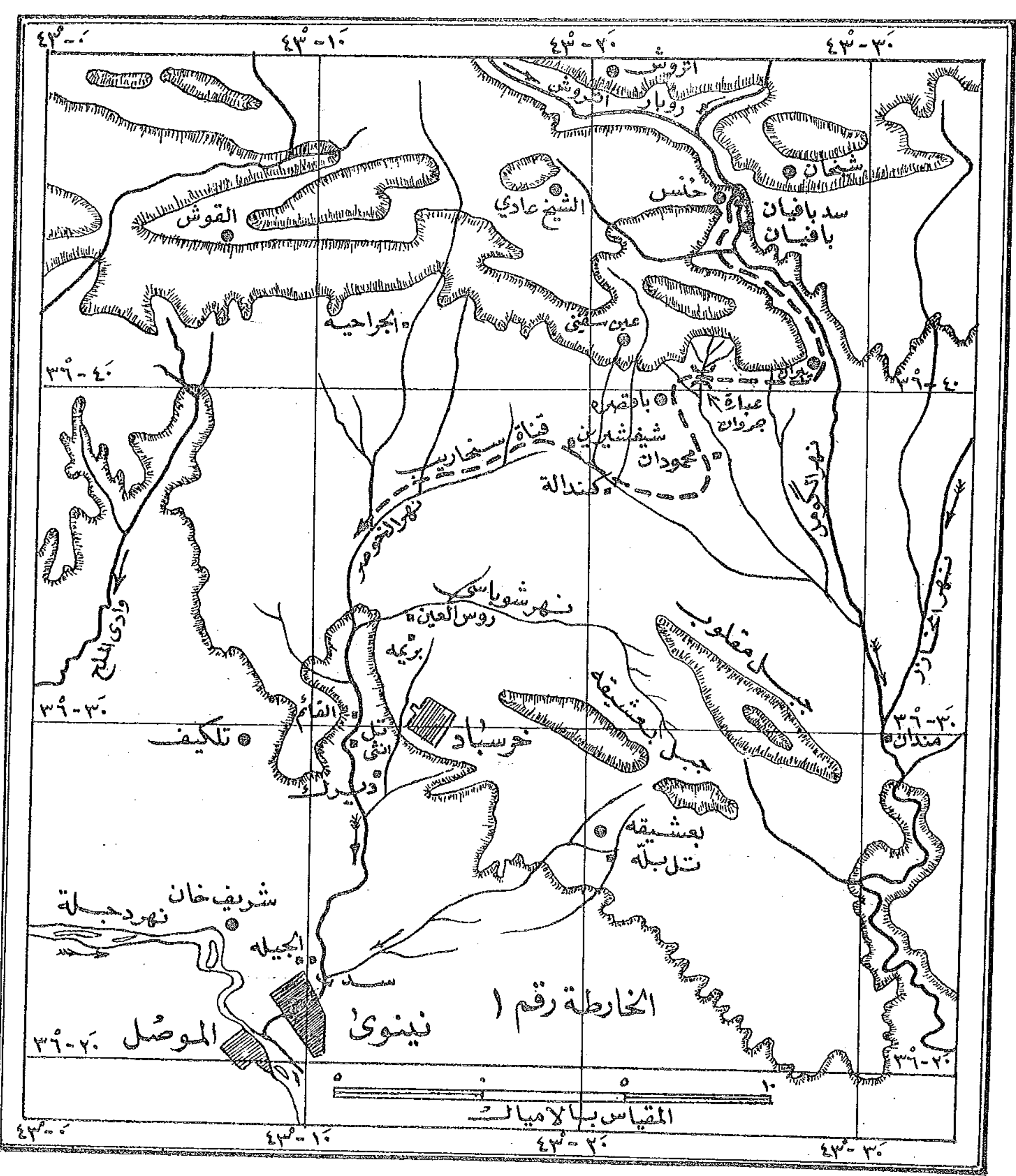
(١١) مدن العراق القديمـة « سـيتون لويـد »(ص ٥٠) .
Seton Lloyd, "Ruined Cities of Iraq," 1942,p. 50.

(١٢) مجلة سومر ٢ (١٩٤٦) ص ٢٧٨ .



التصوير رقم (١٩٨)

منحوتات يافيان ــ اللوحة الصخرية الرئيسة التـي حفرت فيها صور الالهـة وغيرها من الصور تشاهد وهي قائمة بصورة عمودية على واجهة جرف الكومل (عن جاكوبسون ولويد)



مشروع قناة سنحاريب وعبّارة جروان (عن جاكوبسون ولويد)

الرسم رقم (٢٩)

٥ ـ كتابات خبراء الآثار في المشروع :

ان اول من زار منحوتات بافيان وعبارة جروانة من العلماء الآثاريين القنصل الفرنسي في الموصل المدعو روي (M. Rouet) كان ذلك في حوالي سنة ١٨٥٠ ، ثم تلاه مستر روس فوصف منحوتات بافيان في مذكرة مقتضبة نشرت في كتاب لايارد « نينوى وبقاياها »(١٣) ، وفي سنة ١٨٥١ اوفد المتحف البريطاني احد الرسامين ليدون منحوتات بافيان فغرق في الكومل في شهر تموز من تلك السنة، وعقبه لايارد فوصفها وصفا اجماليا في كتابه « اكتشافات في خرائب نينوى وبابل » المطبوع في سنة ١٨٥٣(١٤) ، وقد وصف لايارد عبارة جروان بصفة جسر على الطريق العام بين نينوى وبافيان. وفي سنة ١٩٠٤ زار الاستاذ كينك (L.W. King) عبارة جروانة ومنحوتات بافيان فصورها وشارك لايارد فيما ذهب اليه من ان جروان هي جسر عبر الوادي في الطريق العام بين نينوى وبافيان واستنتج ان الآثار تعود الى عهد سنحاريب بعد ان عثر على بعض الكتابات على احجار في قرية «مهد» تحمل اسم سنحاريب، ومذكرة كينك هذه نشرت في كتاب « بخمن » المطبوع في سنة ١٩٢٧(١٥) . ثم اعقب كنك الاستاذ اولمستيد الذي زار هذه الآثار في سنة ١٩٠٨ فكان اول من اشار عرضا الى ان بناء جروانة يمثل عبارة يعبر من فوقها الجدول(١٦) دون ان يضيف اي تفصيل حول ذلك ، وتلاه « بخمن » الذي زار هذه الآثار في شهر مايس من سنة ١٩١٤ فاجرى مسحا دقيقا لمعالم هذه الآثار ووضع خرائط ومرتسمات لعبارة جروانة ومنحوتات بافيان معززة بصور فوتوغرافية فكان يرى ان آثار جروانة هي من بقايا سد قديم انشيء لحجز المياه وتكوين خزان لاغراض الري . وبعد الحرب العالمية الاولى زار هذه الآثار عدد من المحققين منهم « كييرا » (Chiera) « وثورودانكن » (Thureau-Dangin) « وسبايزر » (Speiser) وقد وصف الاخير بناء جروانة بقوله اننا مررنا في طريقنا بسد ضخم قرب قرية جروانة(١٧) . يتضح مما تقدم ان جميع هؤلاء الآثاريين لم يتوصلوا الى معرفة تفاصيل هذا المشروع وقد بقيت حقيقته مجهولة حتى اجريت دراسات جاكوبسون ولويد فكشفا عن خفايا هذا المشروع الجسيم .

---

(١٣) A.H. Layard, "Nineveh and its Remains," London, 1850, Vol. II, pp. 142-144.

(١٤) A.H. Layard, "Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon," London, 1853, pp. 207-16.

(١٥) W. Bachmann, "Felsreliefs in Assyrien, 1927, p. vi.

(١٦) كتابه « تاريخ اشور » المتقدم ذكره ص٣٣٢ .

(١٧) "Bulletin of the American Schools of Oriental Research," No. 28 (1927) p. 16.

٦ ـ المشروع في المرحلة الاولى ـ سد الخوصر وقناة كيسيرى

تدل الكتابات التي دونها سنحاريب على ان المشروع مر بمرحلتين فقد اقتصرت المرحلة الاولى على انشاء سد على نهر الخوصر عند بلدة «كيسري» الواقعة على بعد حوالي عشرة اميال من شمال نينوى وعلى تحويل مياه هذا النهر في قناة تأخذ من امام السد وتسير بمحاذاة نهر الخوصر غربا حتى تنتهي الى حقول نينوى . وقد اضيفت الى مياه الخوصر مياه العيون الواقعة في الاقسام العليا من النهر وحفرت قنوات خاصة لتحويل مياه هذه الينابيع فيها الى الخوصر امام السد (انظر المرتسم رقم ٣٠) . وقد دون سنحاريب الكتابة الاتية في نهاية السنة الثانية من حكمه اي في عام ٧٠٣ق.م. قال « لقد انشأت بجانب القصر حديقة غنـاء شبيهة بجبل امانوس ، غرست فيها انواع الزهور والنباتات العطرية واشجار الاثمار ، منها ما ينبت في الجبال ومنها مايكثر في سهول الكلدانيين ولكي يعمروا البساتين وزعت الاراضي القريبة من المدينة الى مقاطعات مساحة كل منها ٢ (بي) على مواطني نينوى وملكتهم اياها . ولكي اجعل تلك البساتين عامرة زاهية حفرت قناة بفؤوس من الحديد ممتدة في التلال والوديان من مدينة كيسيري الى سهول نينوى . والى مسافة بيرو ونصف بيرو [١٨] جعلت مياها دائمية تجـري هناك (اي في القناة) من الخوصر[١٩] . ثم حفرت سواقي تتفـرع الى البساتين من تلك القناة » . وقد جاء في كتابة اخرى في نفس المعنى : « وقد حفرت قناة من تخوم مدينة كيسيرى الى اواسط نينوى وجعلت المياه جميعها تجـري فيها وسميت تلك القناة بقناة سنحاريب »[٢٠] .

وقد ورد ذكر سد الخوصر في احدى كتابات سنحاريب وهذا نصها كما ترجمهـا لكمبل : « كانت مياه الخوصر تجري من قديـم الزمن في منسوب واطيء ولم يقم احد من آبائي الملوك بسدها (بحجزها) وقد بقيت تنحدر الى دجلة(دون ان يستفاد منها) »[٢١] .

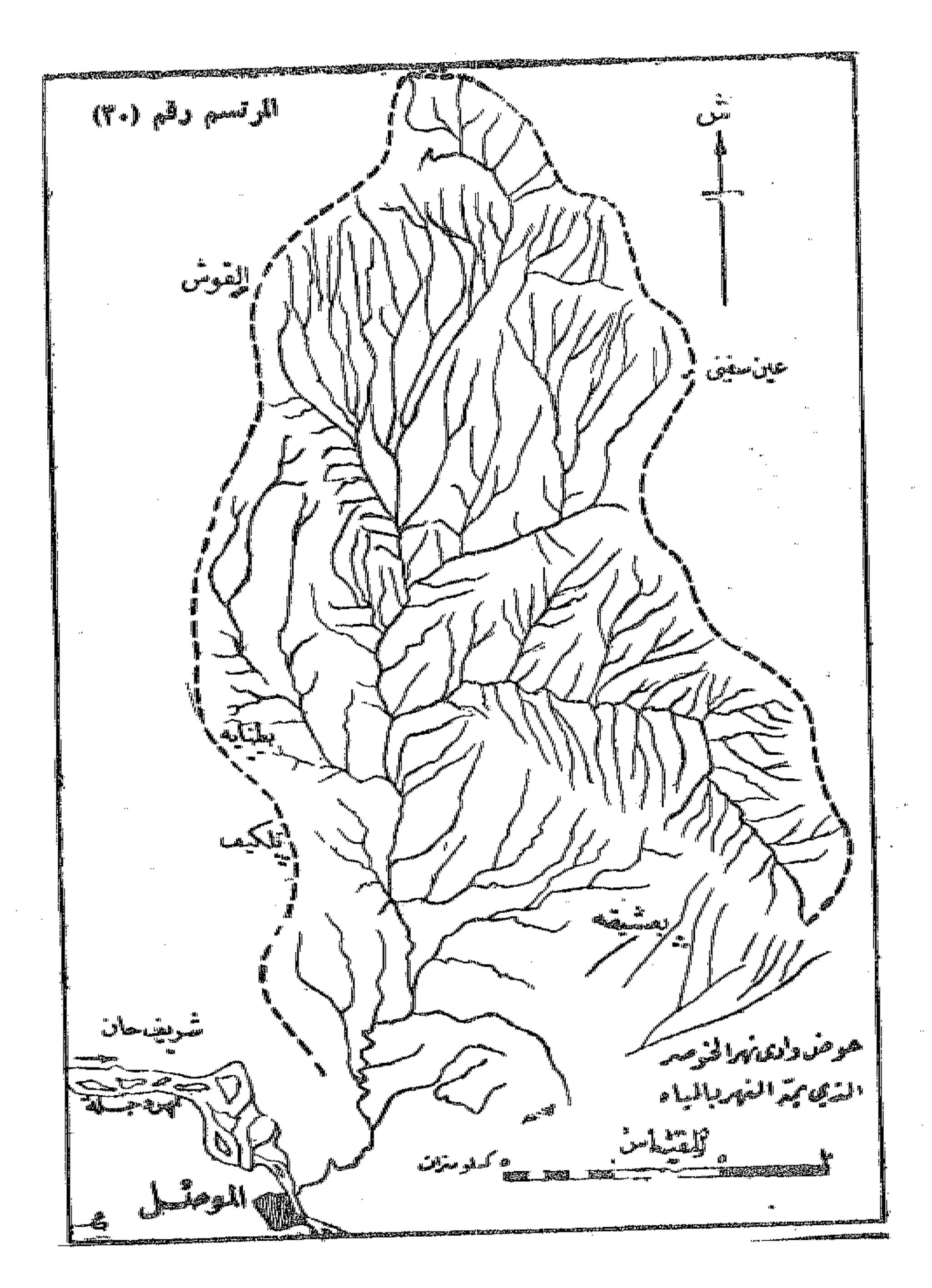
---

(١٨) يساوي البيرو حسب تدقيق الخبراء الاثاريين ١٠٦٩٢ مترا ولذلك ان مسافة بيرو ونصـف تساوي حوالي ١٦ كيلومترا ، راجع :
Thureau - Dangin, Revue d'Assyriologie, XVIII (1921), 133.

(١٩) جاءت ترجمـة الاستاذ فـؤاد سفر لهـذه الجملة كالاتي : وجعلت ماء القناة يجري في الخوصر مسافة (٥ر١ بيرو) « مجلة سومر ، ٣ (١٩٤٧ ص ٨٣) » . وهذا يخالف ما جاء في ترجمـة جاكوبسون ولويد الانكليزية التي دونت حرفيا اعلاه ، ومن الواضح ان ترجمة الاسـتاذ سـفر لا تتفق وواقع الحال لان ماء القناة لا يمكن ان يجري في الخوصر ، لذلك ليس هناك اي شك في ان القناة حفرت خارج عقيق الخوصر وهذا مؤيد في ترجمة جاكوبسون ولويد للجملة المذكورة وفي النصوص الاخرى التي تدل على انشـاء قناة من كيسيرى الى نينوى خارج عقيق الخوصر باسم « قناة سنحاريب » .

(٢٠) دونت هذه الكتابة في بافيان في سنة ٦٩٠ ق.م. بعد ان وسع سنحاريب مشروعه وجلب المياه من الكومل فهو بذلك يكرر ما قام به في هذه المرحلة الاولى من المشروع .

(٢١) راجع لكمبل « سجل اخبار سنحاريب» سطر ٢٢ـ٢٤ ، ص ١١٤ .
D.D. Luckenbill, "The Annals of Sennacherib," Chicago, 1924, p. 114, Lines 22-24.



المرتسم رقم (٣٠)

حوض وادي نهر الخوصر الذي يمد النهر بالمياه

وقد افـــاد جاكوبسون ولويد ان تسمية كيسيري مشتقة من كيسيرتو التي تعني سدا او سدا حاجزا لذلك يرى انه من المحتمل ان سنحاريب اعاد بناء سد قديم كان في هذا المكان الذي تسمت القرية باسمه اي باسم السد ، وقد توصل هذان الخبيران الى ان المكان الوحيد في هذه المنطقة الذي يمكن تعيين موقع هذه القرية فيه هو التل « تل اثنى » الواقع على الجانب الايسر من النهر جنوب قرية القائم الحالية بقليل ، وقرية القائم هذه تقع على نحو خمسة عشر كيلومترا من شمال شرقي نينـــوى[٢٢] .

ومن الواضح ان نهر الخوصر كان ولا يزال اشبه بواد منه الى جدول ري فهو يحمل مياه السيول العارمـــة الى نهر دجلة ولم يكن صالحا لاستخدامه كجدول ري يسيطر على الســـهول المجاورة لاروائها سيحا مما زاد في عمقه وفي درجة انحداره نحو دجلة شأنه شأن الاودية التي تنحدر من اعالي الجبال وتنصب في النهر[٢٣]. لذلك فقد كان طبيعيا من الناحية الفنية ان تحول مياه النهر من عقيق الخوصر العميق ذي الانحدار الشديد الى قناة بمستوى عال بحيث تتسلط المياه على السهول المجاورة من جهة ويسهل تنظيمها في القناة وتوزيعها علـــى الحقـــول من جهة اخرى، ولا شك في ان الفنيين الذين انشأوا هذا المشروع تركوا مجالا في السد الذي أقاموه على نهر الخوصر لتحويل مياه السيول وصبها في دجلة عن طريق مجرى الخوصر الاصلي وهذا ما كان يفعله أي مهندس ري في عصرنا هذا في مثل هذه الحالة لتحقيق الغرض الذي انشئت قناة كيسيري من اجلـــه .

وقد جاءت ترجمـــة الاستاذ ســـفر مغايرة للترجمة الانكليزية بحيث يفهم منها ان سنحاريب قام بتوسيع عقيق نهر الخوصر مما حمل الاستاذ سفر ان يستنتج من ذلك ان العمل الذي انجز كان ينحصر في توسيع عقيق نهر الخوصر نفسه[٢٤] ،وهذا لا يحقق الغرض الذي كان يهدف اليـــه سنحاريب وهو تسليط مياه النهر على السهول المجاورة لاروائهـــا سيحا . لذلـــك ان ترجمـــة جاكوبسون ولويد للنص تتفق مع واقع الحال هو ان سنحاريب حول مياه الخوصر الى قناة جديدة هي قناة كيسيري التي قام بحفرها بموازاة نهر الخوصر كما جاء في النص . وهذا كان يوجب بطبيعة الحال سد نهر الخوصر لحجز المياه وتحويلها الى القناة الجديدة والتي سميت بقناة سنحاريب كما ورد في كتاباته وقد توصل لايارد ايضا الى هذا الاستنتاج نفسه[٢٥] ، اي ان القناة حفرت خارج وادي الخوصر .

---

(٢٢) كتاب جاكوبسون ولويد المتقدم ذكره ، ص ٣٣ .

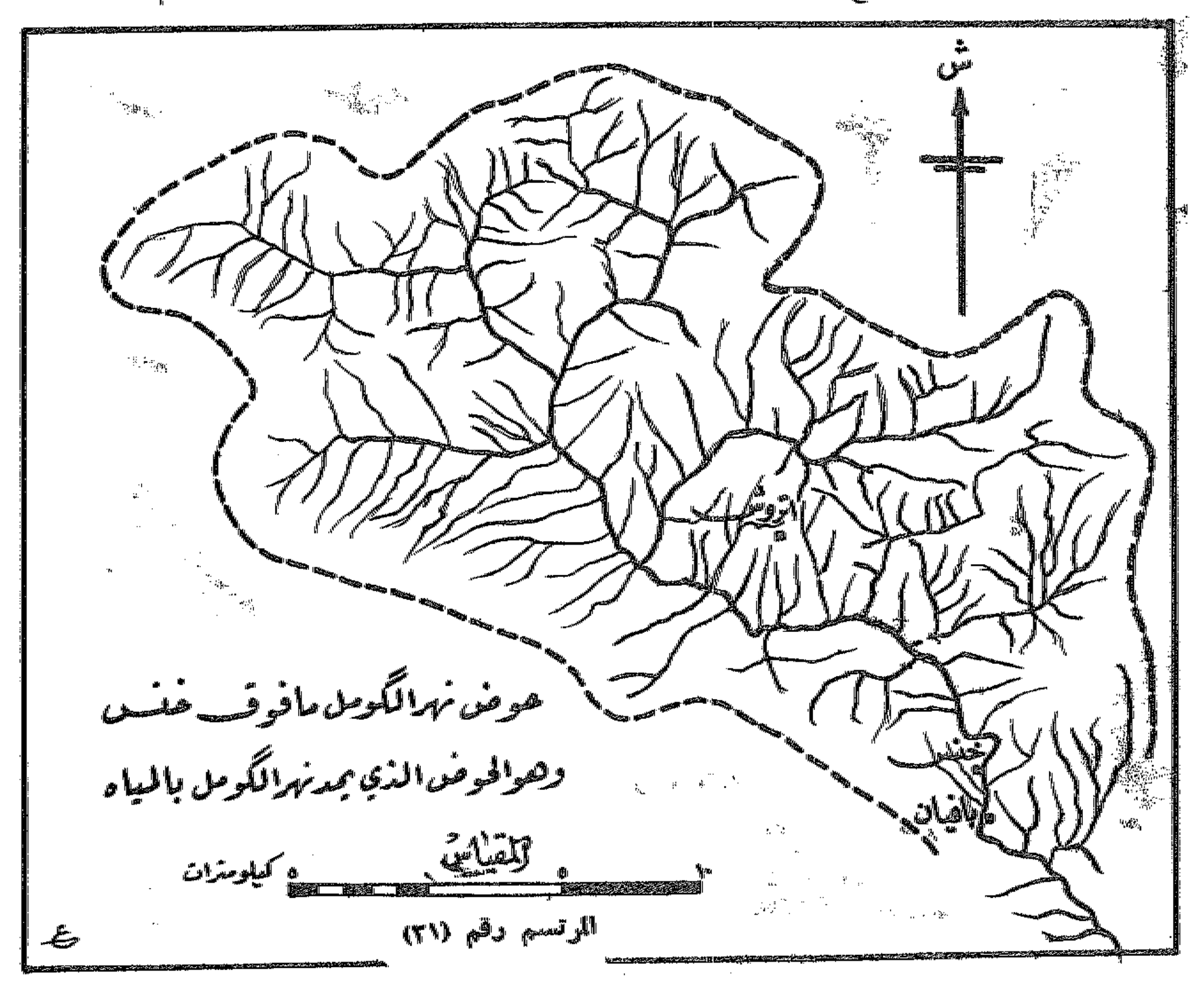
(٢٣) لقد ورد ذكر نهر الخوصر في معجم البلدان ، فوصفه ياقوت في قوله الخوسر (ويلفظه الناس حاليا الخوصر) : « وان في شرقي الموصل يفرغ ماؤه بدجلة كان مجراه من باجبارة القرية المعروفـــة مقابل الموصل تحت قناطر فيه الى الان وعلى تلك القناطر جامعها والمنارة الى الان» (٢ ، ٤٩٨) .

(٢٤) راجع ماتقدم عن ترجمة الاستاذ فؤاد سفر للجملة الخاصة بهذا الموضوع .

(٢٥) « اكتشافات من خرائب نينوى وبابل» المتقدم ذكره ص ١١٢ .

٧ ـ المشروع في مرحلته الثانية ـ سد الكومل وقناة سنحاريب

ولم يكتف سنحاريب بقناة كيسيري من الخوصر بعد ان توسع في احياء الاراضي وانشاء البساتين والكروم في منطقة نينوى فاتجه نحو الرافد الكومل[٢٦] الذي ينحدر من شمال شرقي الخوصر ليضيف مياهه الى مياه نهر الخوصر (انظر المرتسم رقم ٣١) • وقد اشتملت المرحلة الثانية هذه على عملين ضخمين، اولهما ينطوي على انشاء سد حاجز من الحجر على نهر الكومل في مضيق بافيان في نقطة تقع بالقرب من قرية خنس الحالية[٢٧] لحبس مياه هذا النهر امام السد



المرتسم رقم (٣١)

(٢٦) يرى لايارد ان تسمية نهر الكومل تسمية قديمة هي نفس تسمية « كوكاميلا » (Guagamela) وهي سامية الاصل تعني « جمل » ويشير الى ان الاسكندر خاض معركة جوار هذا الرافد . وكان يعرف نهر الكومل في العصر الاسلامي بصورة « جومل » فورد ذكره في معجم البلدان في هذه الصورة ووصفه ياقوت بقوله : « ناحية من نواحي الموصل وقنطرة جومل مذكورة في الاخبار » (٢ ، ١٥٩) .

(٢٧) تقع قرية خنس هذه على بعد نحو عشرة كيلومترات من شمال شرقي بلدة عين سفني .

وتكوين بحيرة بمثابة خزان تتجمع فيه المياه • والثاني فتح قناة من امام السد في الجانب الغربي لنهر الكومل تاخذ الماء من الخزان وتسير غربا حتى تصب في نهر الخوصر امام السد الذي كان قد انشيء على هذا النهر ومنه الى قناة كيسيري التي فتحت في المرحلة الاولى من المشروع لسحب مياه الخوصر وتحويلها الى منطقة نينوى • وكانت هذه القناة تبدأ في الصدر على شكل نفق يتصل بالخزان مباشرة ، ولزيادة كمية المياه في الخزان وسعت العيون التي في جبال تاس الشمالية البعيدة وجمعت مياهها في قنوات خاصة نقلت بها الى الخزان الذي امام السد (التصوير رقم ١٩٩) •

اما اتجاه القناة بين الكومل والخوصر فقد عينه جاكوبسون ولويد على خارطتهما بصورة تقريبية (راجع الخارطة رقم ١٣ من كتابهما) وقد ذكرا ان القناة تمر من قرب القرى التالية : جفته، بيران ، مامرشان ، باقصرة ، بيت نار ، محموردان، مقبل ، كندالة ، شيفشيرين • وقد عثرا على معبر للقناة يقع على بعد ١٥٠٠ متر شرق قرية شيفشيرين مبني بالحجر استدلا منه على ان عرض القناة في هذا الموقع يبلغ حوالي ١٩ مترا[٢٨] •



التصوير رقم (١٩٩)

النفق الذي يبدأ فيه صدر قناة سنحاريب من أمام سد الكومل

(عن جاكسوبون ولويد) (انظر الفقرة ٧)

(٢٨) « عبارة سنحاريب في جروانة » ص ٣٠ •

يتضح من ذلك ان ثمة امورا لا تزال مجهولة حول هذه القناة فهي تبدأ كما تقدم في نفق لم يشاهد المؤلفان منه غير فوهته الظاهرة اما طول هذا النفق واتجاهه تحت المرتفعات فلم يزل مجهولا ، فهل كان قسم من القناة يمر في النفق وقسم اخر يظهر على شكل جدول على سطح الارض وما هو طول كل منهما اذا كانت القناة تسير على هذه الصورة ؟ ان هذه من الامور التي تنتظر الدراسة والتدقيق للوقوف على تفاصيل تصميم القناة واتجاهاتها في مراحل سيرها بين الكومل والخوصر .

وقد استعرض سنحاريب ما قام به من اعمال لانجاز مشروعه الموسع هذا بعد ان كاد ينتهي منه في كتاباته التي عثر عليها في بافيان وهي ترجع الى سنة ٦٩٠ ق.م. قال :

« وكانت حقول المدينة (نينوى) مهملة قاحلة جرداء كالقيراذ لم يكن لاهلها ماء يروون به زروعهم فكانوا يرفعون انظارهم نحو السماء مستمطرينها الا انني ارويتها من مياه القرى ماسيني وبنيارينا وشابارشو وكارشمش ناصر وكارنوري وريموسة وخاتة ودالين ورش عيني وسولوو دوراشتار وشيبانيبة واسباريرة وجنجيلينش ونمباقاتي وتيلو والومسوشي ومن المياه التي في اعالي مدينة خادايتي ، وحفرت لها ثماني عشرة قناة اجريت المياه فيها الى نهر الخوصر .. واتيت بتلك المياه الوافرة من اواسط جبال تاس[٢٩] العاصية الواقعة في تخوم ارمينية (ارارات) وانني الان موتمر بسيدي العظيم (آشور) اضفت اليها مياه الجبال من اليمين واليسار ومياه كوكوت وبيتورة القريتين (منها وشيدت القناة بالحجارة وسميتها قناة سنحاريب) وقد جمعت مياه العيون والمياه التي سبق ان جهزتها بحفر القنوات[٣٠] وسيرتها جميعا نحو نينوى العاصمة العظيمة مقر ملكي التي لم يعن اجدادي الملوك بتوسيع ارجائها وتزيينها وتجميلها من قبل . وفي هذه الايام انا سنحاريب ملك آشور ورئيس جميع الامراء والذي دانت له البلاد من مشرق الشمس لمغربها قد اسقيت نينوى وارويت ما يجاورها بمياه القنوات التي امرت بتشييدها ، وزرعت حدائق ورياضا فيها جميع الاشجار المثمرة اكانت تنبت في الجبال ام السهول . وقد اطلقت المياه الى حيث لم تكن تصل فاحييت مزارع اضر بها المحل ، واعددت الماء لحقول الحبوب والسمسم[٣١] الممتدة بين اواسط مدينة تربيسو ونينوى ». وفي كتابة اخرى دونت في سنة ٦٩٤ ق.م. اي قبل اربع سنوات من تاريخ الكتابة الاولى ، يقول سنحاريب في نفس الموضوع : « ولاستكشاف المياه في جبال مسري[٣٢] تجشمت عناء السفر وتسلقت الجبال حتى وصلت الى مدينة الموناكيني فوجدت في

---

(٢٩) يرى جاكوبسون ولويد ان التسمية الحالية لمنطقة دوسكي في قضاء دهوك هي تسمية محورة لجبال تاس او دوس التي اصبحت دوسكي (« عبارة سنحاريب في جروان » ، ص ٦٢) .

(٣٠) جاءت في ترجمة الاستاذ فؤاد سفر وقد جمعت تلك المياه بعضها الى بعض .

(٣١) جاءت في ترجمة الاستاذ فؤاد سفر «سيسم» .

(٣٢) يعتقد الاستاذ اولمستيد ان التسمية الحالية لمنطقة مزوري في منطقة اتروش هي تسمية محورة لمنطقة جبال مسري التي يشير اليها سنحاريب وهي نفس المنطقة التي ينبع منها نهر الكومل (كتاب « تاريخ اشور » المتقدم ذكره ص ٣٣٢) .

راس المدن دور اشتار وشيبانية وسولو مجاري فوسعت ينابيعهـا وجعلتها انهارا • حفرت لهـا مجاري واسعة في المناطق الجبلية الصعبة بفؤوس من النحاس فاوصلتها الى مدينة نينوى • واقمت لكل منها جوانب عالية كالجبال مما حافظ على مائها واضفت مياهها الى ميـاه الخوصر الدائمة فباتت جميع الرياض والبساتين تسقى في موسم الحر • وارويت بهذه المياه في الشتاء والفصول الاخرى حقولا ممتدة في الشمال والجنوب من المدينـة »(٣٣) •

وبالقرب من فوهة القناة التـي تأخذ من امام السد منحوتات وكتابات في سفح الجبل وصور ناتئة بعضها يمثل الالهة الاشورية الشهيرة وبعضها صور لسنحاريب ذاته وفيها كذلـك كتابـات مسمارية(٣٤) • وعلى شاطيء الكومل نصـب لسنحاريب من الحجر قد هوى في النهر ولم تزل تشاهد آثار قاعدته الحجرية في جواره وفي هذا النصب صور ناتئة لاشخاص وحيوانات بينهـا ثيران مجنحة وتبدأ القناة في نقطة غير بعيدة من جنوب النصب المذكور فتدخل في نفـق حفر في الصخور وفي فوهة القناة عند النفق ناظم ذو بوابة تنظم بواسطته كميات المياه التي تجري في القناة على الطريقة المتبعة في تنظيم الجداول الحديثـة • وتشاهد بجانب الناظـم حجرة صـغيرة منقورة في سفح الجبل كانت على الارجح قد هيئت لاقامة الشخص المسؤول عن تنظيم المـاء بواسطة بوابة الناظم ولحراسة النصب والمنحوتات • وفي السفح المقابل اي في الجانب الايسر من النهر ، ثمان صور وكتابات مسمارية تمثل احدى تلك الصور الملك سنحاريب واقفا امام الاله آشور مبديا له شكره وخشوعه وفي موضعين اخرين صورتان لسنحاريب ، وفي مكان آخر شخص لعله الملك ذاته ممتطيء صهوة جواده • وقـد نقشت هذه الصور لتخلد فتوحات سـنحاريب واعماله العمرانية العظيمة ومنها قناته هذه • لذلك فهو يقول في هذا الصدد : « وعند فوهة القناة التي حفرتها في اواسط جبل تاس نحت ست صور للالهة العظيمة سادتي ، واقمت امامها صورتي الملكية في وضع خشوعي ودونت هناك كل عمل حسن قمت به في صالح نينوى وتركت كل ذلك لابنائي الملوك للمستقبل » •

---

(٣٣) يجد القاريء في كتاب الاستاذ بونيون الموسم ب « كتابات بافيان — ترجمة وشرح فيلولوجي » شرح وتعليقات عن ترجمة نصوص كتابات سنحاريب الخاصة بهذا المشـروع وعـن الاسـماء الجغرافية الواردة فيها . وهذا الكتاب باللغة الفرنسية وعنوانه :
"L'Inscription de Bavian, texte, traduction et commentaire philologique," par H. Pognon, Paris, 1879.

(٣٤) يجد القاريء وصفا لهذه المنحوتات في مقال للبحاثة الاستاذ كوركيس عواد بعنوان « الاثـار في خنس وبافيان » نشر في مجلة **النجم** (السنة الخامسة عدد ٣٠ ،ايلول ١٩٢٢، ص (٣٣١—٣١٩) . وفي مجموعة الصور المكبرة التي نشرها لايارد في كتابه «تماثيل من نينوى» تصوير يدوي مفصل لهذه المنحوتات ، راجع القسم الثاني اللوح ٥١ :
Layard, "Monuments of Nineveh," 2nd Series, Plate 51.

٨ — علم الري والتسوية (Levelling) في العصور القديمة

وقد يتساءل القاريء كيف استطاع هؤلاءالقدماء ان ينشأوا مثل هذا المشروع الضخم وان يخططوا اتجاهات جدول يبلغ طوله من صدره قرب قريــة خنس الى مصبه في الخوصر حوالي (٣٠) ميلا بعرض حوالي ١٩ مترا وهو يمر فيمنطقة متموجة شبه جبلية والتوفق الى انجــازه بنجاح ؟ •• وهل كانت لديهم الات فنية تمكنهممن احضار خرائط وتصاميم للمشروع مقدما ثم تنفيذ هذه التصاميم بعد تدقيقها والتاكد مــن صحتها كما هو متبع في عصــرنا الحاضر ؟ •••
والجواب على ذلك هو ان الاسس التي كانت تستند اليها اعمال التسوية (Levelling) في ذلك الزمن لم تكن لتختلف في شيء عن الاسس التي تستند اليها الات المسح الحديثة كالة التسوية (Level) التي تستعمل في الوقت الحاضر ، وقد كان اختصاصيو ذلك العهد ذوي خبرة فنية كافية ومهارة فائقة تؤهلهم ان يخططوا هذه المشاريع وينجزوها بنجاح • وقد ثبت لدى اعادة احيــاء بعض المشاريع القديمة ان التخطيط القديم لهذهالمشاريع يتفق تماما مع التخطيط الفني الحديث، ومن جملة هذه المشاريع مشروع جدول الحويجةالقديم في منطقة كركوك فعندما اعدت الدوائــر الفنية تصميما لاحياء هذا الجدول لم تجد موقعا لصدر الجدول يرجح على الموقع القديم الذي اختاره الاقدمون فاتخذوه صدرا للجدول الجديدكما انهم لم يجــدوا تخطيطا للمجرى يفضل على اتجاه المجرىالقديم فاتخذوه هو نفسهايضا لمسافةعدة كيلومترات • فقد كان القدماء يبدأون عملهم عادة من صدر الجدول مستندين الى اوطأ منسوب لماء النهر الذي يأخذ منهالجدول فيستمرون في تعيين اتجاه المجرى ومناسيب انحدار قعره بالتدريج بالنسبة الى ذلك المنسوب وهو الاساس الذي يرجع اليه في الخطأ او الصواب ، حتى يصلوا الىالجهة المطلوب ايصال الماء اليها • وقد برع العرب في هذا الفن ايضا فالفوا فيه وثبتوا في كتبهم القواعد الاساسية لفن الري (علم خصائص الماء) وعلم المساحة وسائر الامور المختصة بالهيدرولوجية (انظر ما يلي في ذلك) •

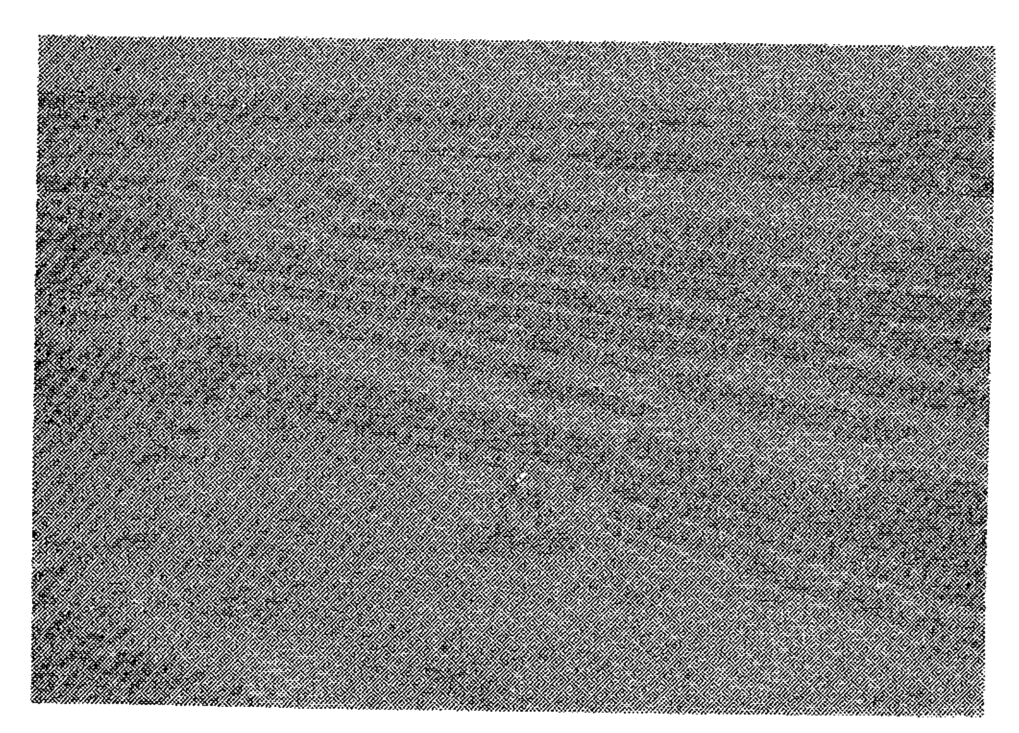
٩ — عبارة جروانــة

اما العمل الثاني في المرحلة الاخيرة فهو يرتبط ارتباطا كليا بالقناة التي تأخذ من نهر الكومل وتصب فيالخوصر وهو يشتمل على عبارة ضخمة[٣٥] انشــئت عند قريــة جروانــة عبر احــد اودية روافد الكومل لعبور القناة فوق الوادي فيطريقها الىنهــر الخوصر• ونعتقد بكل تأكيد ان هذه العبارة انشئت في نفس الوقت الذي حفرتفيه القناة من الكومل لانهــا تعتبر جزءا من تلك القناة وان القناة لا تؤدي المهمة التي انشئت من اجلها دون انجاز بناء العبارة المذكــورة (انظر التصوير رقم ٢٠٠) •(وتقع العبارة بالقرب من قرية جروانة الى الشرق من عين سفني وهي مبنية باحجار صخرية ضخمة بحجم نصف متر مكعب تقريبا ، وان طول العبارة من جانب الى جانب

---

(٣٥) اقر المجمع العلمي العراقي مصطلح «عبارة» لمصطلح (Aqueduct) الانكليزي •

يبلغ حوالي ثلثمائة متر اي انه اطول من قناطر الهندية بستين مترا واطول من قناطر الرمــادي بمائة متر تقريبا وارتفاعها بين اسفل الطوق واعلى البناء تسعة امتار • اما عرض ارضية العبارة التي تسير عليها القناة عبر الوادي فيبلغ ٢٢ر٥ مترا وقد انشيء جدار في كل من جانبي العبــارة على طول البناء فيقوم هذان الجداران بحبس الميــاه داخل القناة فوق العبارة ليمنعاه مــن التدفــق خارجها ، واذا تركنا مترا ونصف المتر لاسس كل من الجدارين الجانبيين كان العرض داخل القناة حوالي ١٩ مترا وهذا يتفق والرقم الذي ذكره جاكوبسون ولويد عن عرض القناة في شيفشبرين • وقد بنيت اسس ارضية القناة على سطح العبارة بالرهص بسمك حوالي نصف متر وذلك لمنع الماء من التسرب بين حجاراتها[٣٦] وتتألف العبارة من ١٣ فتحة عرض كل منها حوالي ١٥ مترا وفتحــة واحدة في الوسط عرضها ثلاثون مترا مقسمة الى اربع فتحات عميقة في وسط عقيق الوادي معقودة بعقود مخروطة الشكل ، ويظهر ان هذه الفتحة الوسطية كانت قد اعدت لامرار ميــاه الوادي الصيفية من تحت العبارة)• وقد نقش سنحاريب في بعض اركان العبارة كتابة مسمارية دون فيها ما ترجمته : « سنحاريب ملك الدنيا ملك آشور ، من مسافات طويلة جمعت ميــاه نهــري الخازر



التصوير رقم (٢٠٠)

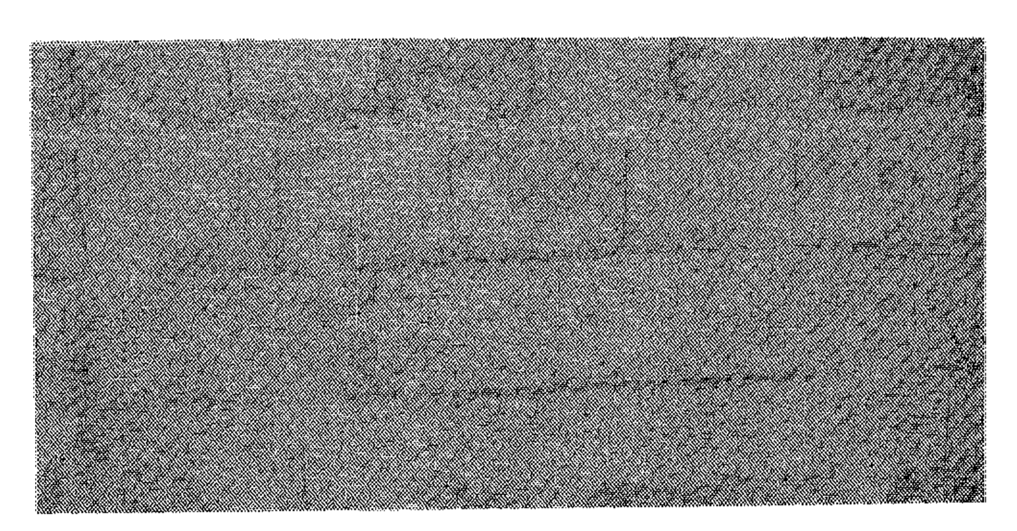
من بقايا بناء العبارة ــ الجانب الشمالي الغربي (عن جاكوبسون ولويد)

---

(٣٦) كتاب جاكوبسون ولويد المتقدم الذكر ص٦ ــ ٨ •

التوامين ـ مياه نهر بولبوليا ومياه مدينة خنوسة(٣٧) ومياه بلدة ماكارا ومياه ينابيع الجبال من اليمين واليسار ومن كل جانب وحفرت جدولا يمتد الى مروج نينوى وفوق الوديان العميقة بنيت جسرا (عبارة) من الحجر الابيض الضخم وجعلت هذه العبارة تسير من فوقه » • وقد نقشت على كثير من القطع الحجرية التي بنيت بها العبارة التالية : « تعود الى سنحاريب ، ملك العالم ملك آشور » ، وقد استعملت هذه العبارات في القطع الحجرية التي بنيت منها قصور سنحاريب في نينوى ايضا (انظر التصوير رقم ٢٠١) •

وتدور حول انجاز هذا المشروع الضخم اساطير كثيرة يتناقلها الاهلون جيلا بعد جيل منها ان شخصين كانا يتنافسان على طلب يد بنت احد الملوك فاعلن الملك الوالد ان من يستطيع منهما ان يوصل الماء الى منطقة تلكيف يستحق ان يحظى بهذا الشرف العظيم فباشر احدهما في الحال انشاء هذا المشروع اما الثاني فبعد ان كاد منافسه الاول يتم المشروع جاء بكمية كبيرة من الخام الابيض وفرشها في تلك المنطقة بحيث كانت تظهر كالماء المتجمع في بحيرة واسعة وهكذا نجح في تصميمه هذا مما حمل المنافس الاول عند سماعه خبر انجاز المشروع على الانتحار لشدة تأثره (« عبارة سنحاريب في جروانة » ص ٢٨ ـ ٢٩)(انظر التصويرين رقم ٢٠٢ و ٢٠٣) •



التصوير رقم (٢٠١)

الكتابة المنحوتة على واجهة العبارة عند الفتحة السادسة (عن جاكوبسون ولويد)

---

(٣٧) ان مدينة خنوسة الوارد ذكرها في كتابات سنحاريب هي بدون اي شك قرية خنس الحالية التي حافظت على اسمها القديم مدة اكثر من ٢٥٠٠ عام وان تعيين موقع مدينة خنوسة هذه مهد السبيل لتشخيص بعض المواقع الاخرى التي ورد ذكرها في كتابات سنحاريب .

١٠ ـ خبرة القدماء في انشاء عبارات الري

وتعد هذه العبارة التي يقدر عدد الاحجار المستعملة في انشائها حوالي مليوني حجرة بحجم نصف متر مكعب ووزن ربع طن للحجرة الواحدة عملا جبارا قد يفوق كافة اعمال المشروع بضخامته ولعله اضخم واقدم بناء معروف من هذا النوع من آثار العصور القديمة في العراق • ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الاقدمين كانوا قد برعوا في انشاء مثل هذه العبارات لان الحاجة الى انشاء جداول تاخذ المياه من اعالي الانهـر ومدها مسافـات طويلة عبر الاوديـة او الجداول لايصال المياه بالطريقة السيحية الى مناطق معينة تستوجب انشاء مثل هذه العبارات وذلك لعدم تيسر وسائط الضخ الالية الضخمة في ذلك العهد • وقد خبر العرب انشاء مثل هذه العبارات واوضح دليل على طول باعهم في هذا الميدان العبارة التي انشأوها في العهد العباسي على جدول النهروان الواسع (الفاطول الكسروي) لامرار جدول الجعفري من فوقها وهو الجدول الذي انشأه المتوكـل وشقه من اعالي نهر دجلة قرب الفتحة وسيره بموازاة نهر دجلـة مسافة اكثر من خمسين كيلومترا لايصال المياه بالطريقة السيحية الى مدينة المتوكلية في شمال سامراء • وقد اكسيت ارضية الجدول فوق العبارة واطرافه من الجانبين بالرصاص لمنع تسرب الماء من بين آخر البناء ولذلك فهي لأتزال تسمى « قنطرة الرصاصي »[٣٨] • وقد بنيت هذه على نمط عبارة جروانة اذ عقـدت فتحاتهـا بطـوق راسـية (Pointed Arches) • امـا الاختلاف فينحصر في نـوع مادة البنـاء فقد بنيت عبارة جروانة بالحجر في حين ان عبارة الفاطول بنيت بالآجر • وقد استعمل المزيج الخرساني في فرش ارضية الجدول فوق عبارة جروانة في حين ان العرب كانوا يستعملون الرصاص او القار في فـرش الارضية[٣٩] •

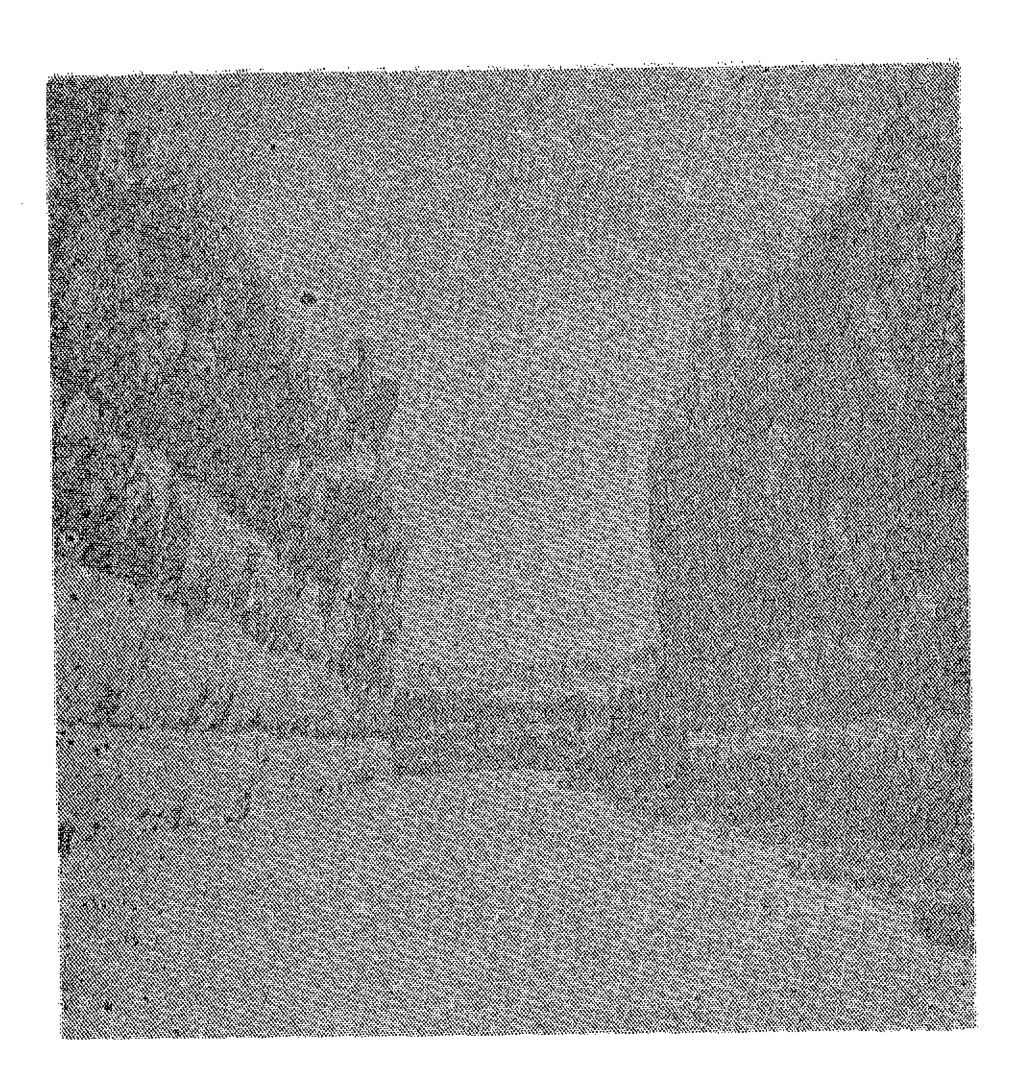


التصوير رقم (٢٠٢)

منظر تصويري لعبارة جروانة كما كانت عليه في زمن سنحاريب (عن جاكوبسون ولويـد)

(٣٨) حول هذه العبارة وتصميمها راجع كتـاب « ماساة هندسية او النهر المجهول » للدكتور (احمد سوسه) ص ٦٠ وما يليها •

(٣٩) يستدل من دراسات الدكتور جاكوبسون على ان ارضية الجدول على سطح عبارة جروان كانت مكسية بفرشة سميكة من الخرسانة غير ان الاستاذ كونتنو يذكر في كتابه « الحياة اليومية في آشور وبابل » ان الارضية كانت مكساة بمزيج من مادة القار والحجر الناعم •



التصوير رقم (٢٠٣)
فتحة من فتحات عبارة جروانة (عن جاكوبسون ولويد)

وكان القدماء يستخدمون في انجاز مثل هذهالمشاريع الضخمة الافا من الاسرى الذين يقعون في قبضتهم وقد اتبع سنحاريب طريقة اسلافه فيانجاز مشروع قناته وعبارته فاستخدم الآفا من الاسرى الذين جاء بهم من الاقطار التياستولى عليها كالكلدانيين والاراميين والارمـن واليهود وغيرهم من الاقوام المغلوبة • وكان هؤلاء يوزعون على العمل على شكل زمر كلزمرة تمثل الشعب الذي تنتمي اليه ، وكان افراد كل زمرة بلباسهمالخاص الذي يميزون به عن بقية الزمر • وهناك مراقبون مجهزون بالعصي لضرب المتقاعسين منهموحملهم على العمل المجد • (كتاب لكمبل «سجل اخبار سنحاريب » المتقدم ذكره ص ١٩ ، ٩٧) •

ومما يذكر في صـــدد جروانة التي اقامهـــا سنحاريب على احد الاودية التي تعترض قنـــاة سنحاريب بين الكومل والخوصر ان محافظة نينوى قد اتخذت من الشلالات التي تحدثها انقاض العبارة المتهدمة عبر مجرى الوادي الذي كانت قنـــاة سنحاريب تجري فوقه متنزها يعرف اليوم بمتنزه الشلال وهو غير بعيد عن الموصل •

١١ ــ افتتاح المشروع

لقد انتهى سنحاريب من انجاز مشروعه موضوع البحث في سنة ٦٩١ق•م•وهي السنة التي قهر فيها «همبانيمينا» ملك عيلام[٤٠]، ويقول فيما دونه من كتابات انه انجز الاعمال في ظرف سنة وثلاثة اشهر[٤١] ولفتح القناة ارسل كاهنين لاجراء المراسيم الدينية وفي الوقت نفسه قدم هدايا ثمينة الى الالهـــين « ايـــا » و « انبلولو » الهي المياه والانهر ، الا انه عندما فتحت القنـــاة بحضـــور المهندسين المختصين تدفقت الميـــاه بشدة وأدى الضغط الشديد على الناظم الى حدوث ثغرة في مؤخره هدمت بعض جوانب صدر القناة • ولا شك ان ذلك كان نتيجة لخطأ ارتكبه المهندسون في تصاميمهم الا ان العقائد الوهمية السائدة في ذلك الزمن كانت تنسب امثال هذه الحوادث الى غضب الالهة وعدم رضاهم ، لذلك فقد ذهب سنحاريب بالذات الى الموقع وامر باصلاح الخلل وقدم هدايا اخرى الى الالهة كما قدم الى القائمين بالمشروع البسة زاهية وخلع عليهم خواتـــم وخناجر مـــن الذهب ، واليك ما دونه في هذا الحادث قال : « ولاي من الملوك ابنائي ، اذا ما خامره الشك بانني قد انجزت حفر تلك القناة بهذه الزمرة من الرجال ، اقسم باسم (آ شور) سيدي العظيم بانني انشأت تلك القناة بهذه الزمرة من الرجال في ظرف سنة وثلاثة اشهر وانهيت حفرها في اليوم الذي اكمل فيه تشييدها •

« ولفتح هذه القناة ارسلت كاهنـــا من صنف آشيبو وكاهنا من صنف كالو ومقادير من العقيق الاحمر واللازورد ، والاحجار الكريمة الاخرى ، وأشياء أخرى من الذهب والعقاقير ، واحسن زيت الى الاله « ايا » سيد الينابيع والجـــداول والمروج واهديت كـــذا هدايـــا الى « انبلولو » سيد الانهار والى الاله « انيا امبال » وصليت الى الالهة المعظمة فاستجابت لصلاتي ووفقتني في أعمالي • ولما اردت فتح الناظم كانت لبوابته جعجعة فتدفقت الميـــاه في القناة الا ان البوابة استعصى فتحها نظرا الى التركيب المعقد الذي احدثه المهندسون في صـــنعها وأوحـــت الالهة الى المياه بان تحدث شقوقا في القنـــاة الا انني تفحصت القناة ونظمتها وقدمت الى الالهة

---

(٤٠) « تاريخ اشور » للاستاذ اولمستيد ص٢٣٢•

(٤١) ان جاكوبسون ولويد لم يعلقا على هذا الادعاء على الرغم مما وصل الينا من معلومات وافية عن مراحل المشروع الذي استغرق انجازه حوالي عشر سنوات كما اوضحنـــا فيمـــا تقـــدم ولعـــل سنحاريب يشير هنا الى انجازه المرحلة الاولى من المشروع وهي تنحصر بحفره القناة من الخوصر الى نينـــوى •

التي عاونتني أحضن الثيران وأسمن الأغنام ضحية خالصة وألبست الرجال الذين حفروا تلك القناة قمصانا من الكتان وحللا من الصوف زاهية الالوان وخلعت عليهم خواتم وخناجر من الذهب »[٤٢] .

١٢ ـ مستنقع وغابة سنحاريب في منخفضات نينوى

لقد جاء في كتابات سنحاريب الاخيرة ان سنحاريب اصطنع له مستنقعا (أرضا منخفضة) غرس فيه أنواع الاشجار والنباتات كالقصب والجنار والسرو والتوت وغيرها من الاشجار التي تنمو في مناطق الاهوار وجلب مختلف انواع الطيور والحيوانات من مواطنها في المناطق الجنوبية كالخنازير الوحشية والايائل وغيرها وأطلقها في المنخفض المذكور فتكاثرت فيه . والظاهر ان سنحاريب أستعمل أخشاب التوت والقصب المزروع في هذه المنطقة في بناء قصره الجديد في نينوى ، فقد جاء في كتاباته حول هذا العمل ما ترجمته : « ولايقاف جريان هذه المياه (مياه القناة التي انشأها) اصطنعت مستنقعا وجعلت غابة من القصب من داخله ، واطلقت فيه طيور أجيري وخنازير وحشية وايائل . وبنت طيور السماء وطيور أجيري اعشاشا لها . وتكاثرت الخنازير والايائل .(وقد قطعت أشجار التوت والسرو من نتاج الحدائق والقصب النابت في المستنقع واستعملتها في بناء قصري الملوكي») . وقد عثر على تحت بديع لتصوير غابة القصب المشتبك وفي مكامنه وعل وعنز التان كذلك خنزيرة وحشية مع صغارها بين أشجار القصب. ويمتاز هذا التصوير بالدقة والابداع الفني .

والسؤال الذي يشكل موضوع جدال وخلاف هو اين يقع هذا المنخفض وكيف كانت المياه تحول اليه ... ولا بد أن نشير في هذا الصدد الى ان الحاجة التي اقتضت تصريف بعض المياه الفائضة في القناة التي انشأها سنحاريب هي من جملة العوامل التي حملت سنحاريب كما جاء في كتاباته على انشاء هذا المستنقع للاستفادة من هذه المياه ، اذن يجب ان نتجه الى قناة سنحاريب التي حولت منها المياه الفائضة الى المنخفض ، كما انه علينا ان نتجه الى منخفض واسع في ذنائب القناة حيث تتسلط عليه مياه القناة . ولما كنا نعلم ان القناة كانت تمتد في الجانب الغربي من الخوصر بين بلدة كيسيري قرب قرية القائم وبلدة تريبسو (قرية شريف خان الحالية) الواقعة على الجانب الايسر من نهر دجلة في شمال نينوى علينا اذن ان نتجه الى منطقة تريبسو التي تقترب القناة فيها من نهايتها ، ولعل الجدول الذي قال عنه لايارد انه يسير بالقرب من

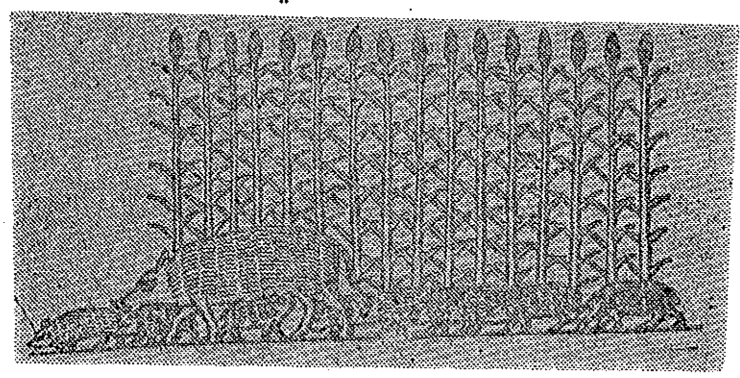
---

(٤٢) « عبارة سنحاريب في جروان » ص ٣٨ـ٣٩ . جمع الاستاذ لكميل جميع كتابات سنحاريب ومن ضمنها الكتابات التي دون فيها سنحاريب اعماله في سبيل تعمير نينوى وتجميلها (راجع كتاب « اخبار سنحاريب » المتقدم ذكره ص ١٠٣ـ٢٧١) . وقد ترجم الاستاذ فؤاد سفر النصوص المتعلقة بمشروع ري سنحاريب في البحث المنشور في مجلة سومر الجزء الاول من المجلد الثالث ، كانون الثاني ص ٧٧ ـ ٨٦ .

قرية شريف خان هو احد جداول ذنائب قنـاة سنحاريب الذي يروي منطقة تربيسو (راجع ما تقدم حول ذلك) • واذا امعنا النظر في الخارطة الطوبوغرافية لهذه المنطقة نجد ان هناك اراضي منخفظة تقع في منطقة تربيسو يحدها نهر دجلة من الغرب والطريق العام بين موصل ودهوك من الشرق والخوصر من الجنوب تكون مساحة شاسعة من الاراضـي المنخفضة وهي تقـع بـين منسوب ٢٣٠ و ٢٠٠ مترا فوق سطح البحر • ومن غريب الصدف انهذه المنطقة نفسها التي يعرف قسم منها اليوم بالحويجة كانت الى امد قريب غابة كثيفـة تكثـر فيها الخنازيـر الوحشية والحيوانات الاخرى وقد اتخذتها مديرية الغابات والتشجير العامة مشتلالها وانشأت فيها غابة حديثة من انواع اشجار الخشب كالحور (القوغ) والجنار والسرو وغيرها من اشجار الزينة والظل، كما اتخذت فيها مديرية الزراعة مشجرا لها ومشتلا لتكثير اشجار الفواكه فيها ، وان هذه الاراضي تروى الان بالضخ من نهر دجلة بعد ان كانت تروى سيحا من قناة سنحاريب التي كانت تنحدر من نهري الكومل والخوصر ولاشك ان هذه المنطقة كانت في عهد سنحاريب اوطأ بكثير مما هي عليه اليوم وهذا أمر طبيعي لان مياه السيول التي تنحدر من المرتفعات تحمل معها كميات كبيرة من الغرين اي الطمى فتزيد في ارتفاع الارض على مر الزمن •

وتقع ارض الحويجة هذه اليوم في اخفض بقعة من هذه المنطقة حيث يبلغ منسوبها ٢٢٠ مترا فوق سطح البحر • اما مساحتها فتبلغ حوالي ثلاثة الاف مشارة اي بقدر مساحة نينوى البالغة حوالي ثلاثة الاف مشارة ايضا • وليس شك في ان مستنقع سنحاريب وغابته القصبية كانا في هذه البقعة ذاتها وان المياه التي جيء بها من الكومل والخوصر كانت تتجمع في نهاية القناة في منطقة تربيسو (شريف خان) ومنها تنحدر الى البقعة المذكورة لتصب فضلاتها في المسـتنقع (انظـر التصوير رقـم ٢٠٤) •

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الطريقة التي كان يتبعها الاقدمون في وضـع تصاميمهم لجداول الري انهم كانوا يخصصون في نهاية الجداول مساحة من الاراضي المنخفضة لتحويل مياه الجداول الفائضة اليها ونظرا لانخفاض هذه الاراضي وسهولة تحويل المياه اليها كانت تنشأ



التصوير رقم (٢٠٤)

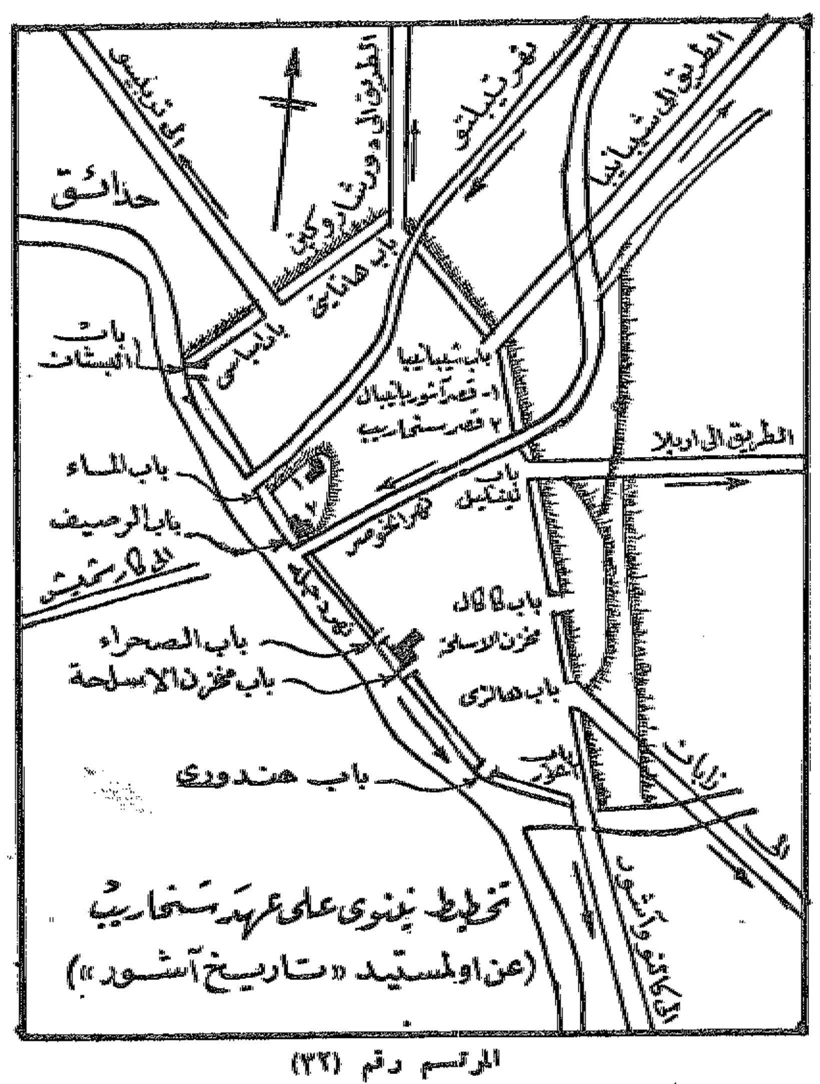
غابة سنحاريب وتشاهد بين اشجارها القصبية الكثيفة خنزيرة مع صغارها .

(عن اولمستيد تاريخ آشور ص ٣٣١)

فيها غابات من القصب والاشجار التي تنمو في التربة الرطبة فتطلق في هذه الغابات انواع الطيور والحيوانات وتترك لتتكاثر فيها لاغراض الصيد ،ومن امثلة ذلك المستنقع الذي احدث في ذنائب نهر عيسى عند مصبه في دجلة قرب تلول خشم الدورة الحالية حيث لاتزال تشاهد هناك آثار بركة كبيرة ينمو فيها القصب هي من بقايا المستنقع المذكور ، كما انه كان قد احدث مثل هذا المستنقع في ذنائب نهر الخالص الذي كان يصب في نهر دجلة قرب الصليخ الحالية (انظر المرتسمين المرقمين ٣٢ و ٣٣) .

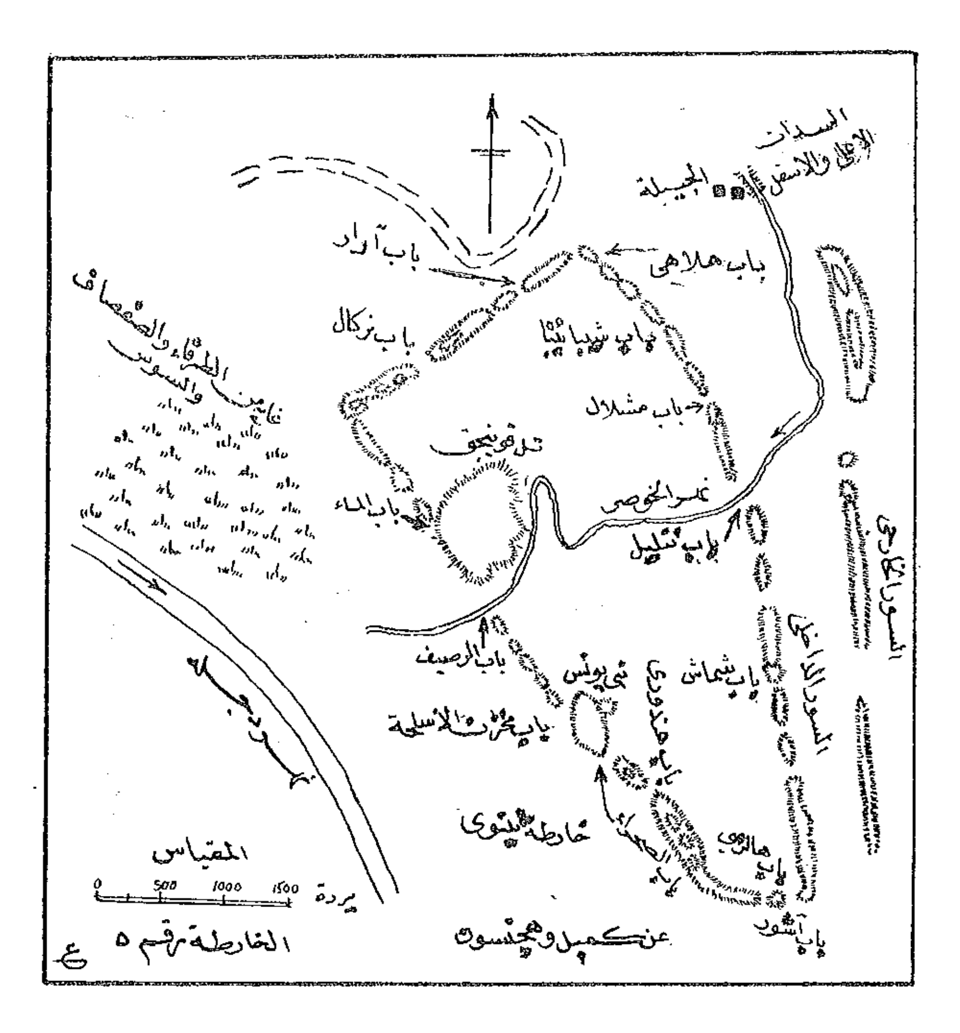
١٣ ــ مشروع سنحاريب لارواء منطقة اربيل :

ومن مشاريع الري التي اقامها سنحاريب ايضا مشروعه لارواء منطقة اربيل فقد حفر قناة على هيئة كهريز[٤٣] تأخذ من نهر باستورة وتمتد نحو عشرين كيلومترا جنوبا حتى تنتهي الى سهل



المرتسم رقم (٣٢)

(٤٣) انظر ما يلي عن نظام ري الكهاريز في المناطق الشمالية من العراق ،



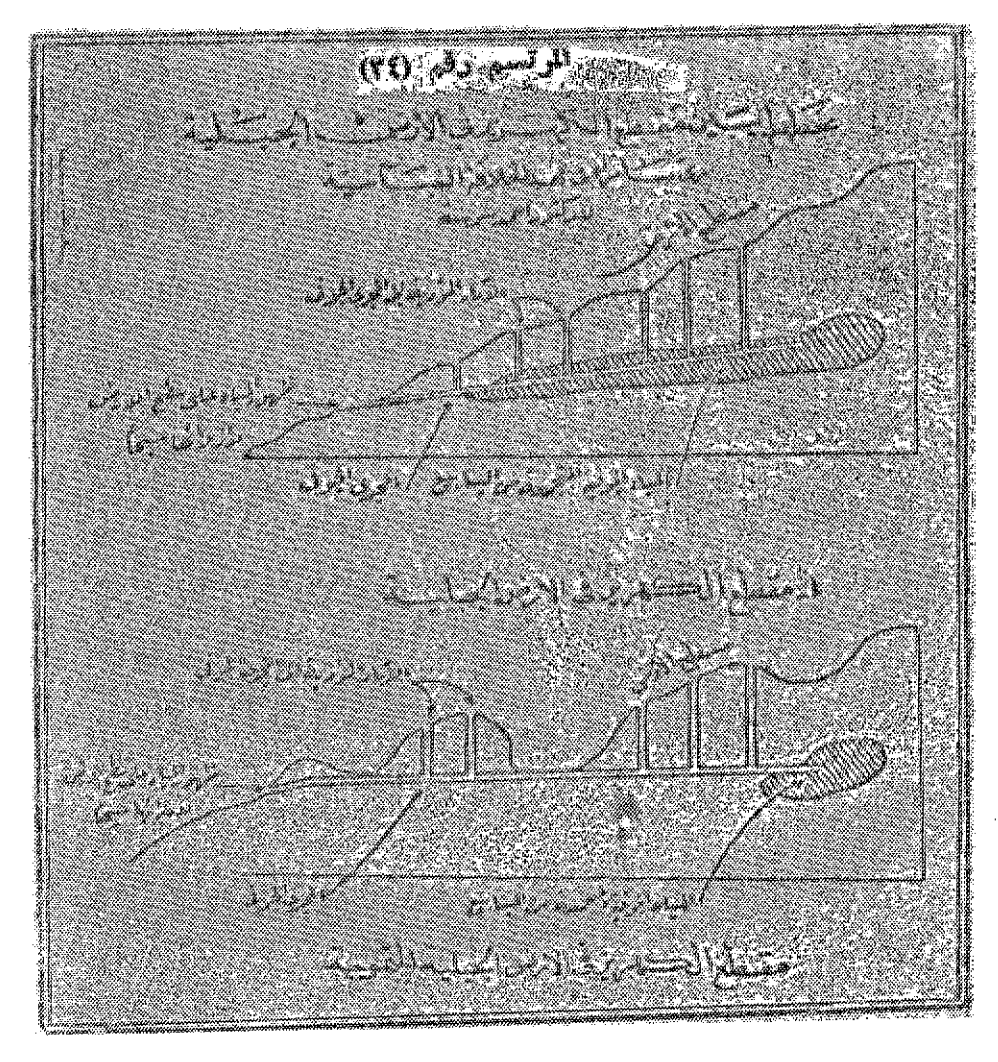
المرتسم رقم (٣٣)

خارطة آثار نينوى (انظر الفقرة ١٢ من الفصل العاشر)

اربيل (انظر المرتسم رقم ٣٤) . ونهر باستورة ينبع من جبال سفين وصلاح الدين وباني ــ باوة داغ ، وهي الجبال التي كانت تعرف عند الاشوريين بجبال خاني ، فيسير بالاتجاه الشمالي الغربي حوالي خمسين كيلومترا حتى يصب في الجانب الايسر من نهر الزاب الاعلى جنوب قرية شرفانة وشمال مصب الرافد الخازر في نهر الزاب الاعلى في الجانب الايمن من النهر . وينبجس عدد من النهيرات من الجبال المذكورة كلها تصب في نهر باستورة حيث تتجمع بالقرب من مضيق الدربند ثم يصب النهر الموحد في نهر الزاب الاعلى . ومياه هذه النهيرات غزيرة تسقي في الوقت الحاضر زروعا وحقولا واسعة . وتقع فوهة القناة بالقرب من قرية موركتكة التي تعلو عن سهل اربيل المراد ايصال المياه اليه بما لا يقل عن ١٥٠ قدما . وتتألف فوهة القناة من مسناة من مكعبات الحجارة متوسطة حجومها ٦٢×٤٣×٨٠ سم ومجموع طولها حوالي ١٥ مترا تتوسطها الفوهة . وقد انشئت

المسناة في استقامة معاكسة لمجرى النهر بحيث يضطر ماء المجرى الى الانحدار نحو فوهة القناة . وفي احدى حجارات المسناة ثمانيـة اسـطر من الكتابة المسمارية تشرح عمل سنحاريب الجبار لارواء مدينة اربيل هذا نصها :

« (انا) سنحاريب ملك العالم ملك آشور حفرت انهارا ثلاثة في جبال خاني في اعالي مدينة اربيل واضفت اليها مياه العيون التي في اليمين واليسار من جوانب تلك الانهار . ثم حفرت قناة (تمتد) الى اواسط مدينة اربيل موطن السيدة العظيمـة الالهـة عشتار وجعلـت مجراهـا مسـتقيما »[٤٤] .



الرتسم رقـم (٣٤)

مقطع الكهريز في الاراضي الجبلية المتموجة

---

(٤٤) سومر م٣ (١٩٤٧) ،ج١ ص ٨٤ ــ٨٦ ، م٢ (١٩٤٦) ، ج٢ ، ص ٢٨٠ــ٢٨٤ .

ويستدل من هذه الكتابة على ان سنحاريب جمع مياه الجبال من النهيرات والعيون واجراها الى نهر باستورة ومنه الى مدينة اربيل ٠

ولما كانت القناة التي حفرها سنحاريب على هيئة كهريز كما اسلفنا فلابد لنا من ان نبحث عن نظام ري الكهاريز الذي ينحصر تطبيقه في المنطقة الشمالية من العراق ٠

١٤ ــ نظام ري الكهاريز في المناطق الشمالية من العـراق

والكهريز هو عبارة عن نفق يشق على شكل قناة تحت الارض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من سلسلة العيون هناك واسالتها بعد تجمعها الى الاراضي الزراعية سيحا ٠ والعادة المتبعة هي ان تحفر آبار من سطح الارض لتتصل بالنفق على مسافات معينة على طول النفق لرفع اتربة المجرى بوساطتها ، ثم تستعمل هذه الابار كنوافذ هوائية الى النفق كما تستعمل ايضا للنزول منها الى النفق اذا ما اقتضى نزحه او تنظيفه من الراسبات والعوائق التي قـد تحـول دون جريـان المياه فيه ٠ وتختلف المسافات بين بئر واخرى حسب طبيعة الارض ، فهي تتراوح من خمسة امتار الى عشرة امتار وتمتد الى عشرين مترا في بعض الاحيان ،وتسير هذه الابار في اتجاه واحد الى مسافة طويلة وهي تدل على اتجاه الكهريز وطوله (انظر المرتسم رقم ٣٤ مقطع الكهريز في الارض الجبلية) ٠

ويطبق عادة هذا النظام في الاراضي الجبلية المتكونة من مواد متماسكة كالاحجار المتصلبة والصخور الممتزجة مع المواد الصلبة حيث تحول هذه المواد المتصلبة دون انسداد المجرى الجوفي٠

اما الاراضي الجبلية المتموجة التي ترتفع تارة وتنخفض طورا ، فيسير المجرى فيها على شكل نفق تحت الارض في الاقسام المرتفعة من الاراضي ثم يظهر على سطح الارض على شكل جدول مكشوف في الاراضي المنخفضة ٠

والكهريز الذي حفره سنحاريب من نهر باستورة لارواء سهل اربيل يختلف عن الكهاريز الاعتيادية الشائعة الاستعمال والتي تسحب مياهها المتجمعة من العيون في داخل النفق ، فكهريـز سنحاريب جاء على شكل جدول يجري في نفق تتخلله سلسلة الابار كالكهريز ويتمون من النهر مباشرة وليس من المياه الجوفية في داخل النفق شأنه في ذلك شأن جداول الري الاعتيادية التي تسحب مياهها من الانهر مباشرة في مجرى مكشوف ٠

والكهريـز تسميـة محليـة ، اطلقـت في العـراق على المجـرى الجوفي مـدار البحث ، اما العرب فقد اطلقوا عليه اسم «قناة» واطلقوا على الابار التي على طول القناة فقر مفردها فقير ٠

١٥ ــ مشروع اشور ناصربال لارواء سهل نمرود

وهناك مشروع ري آخر قام به الملك اشورناصربال الثاني (٨٨٣ــ٨٥٩ق٠م) لارواء سهل العاصمة الاشورية « كالح » (نمرود)(٤٥) ، ويتألف هذا المشروع من جدول ياخذ من الجانب الايمن لنهر الزاب الاعلى في نقطة تقع على مسافة ١٢ كيلومترا فوق مصب النهر في دجلة فيمتد موازيا لنهر الزاب الاعلى ثم يتجه بعد ذلك نحو سهل نمرود على الجانب الايسر من نهــر دجلة ٠ ويبلغ طول هذا الجدول ثمانية عشر كيلومترا ، ويعرف هذا المشروع بـ (النكوب) او (النقوب) وهو اسم محلي اطلقه اهل تلك البقاع على صدر الجدول لوجود ثلاثة ابواب او « نقوب » عند مدخــل الجدول منقورة في الصخر لتنظيم دخول الماء الى الجدول ، ويبتدى المدخــل على شكل نفــق نقر في الجرف الصخري وبعد ان ينتهي هذا النفق يظهر الجدول مكشوفا وقد نقر في الصخر بعرض نحو اربعة امتار فيمتد بموازاة نهر الزاب الاعلى ثم يتجه نحو سهل نمرود(٤٦) ٠

والمعروف من التحقيقات الاثارية عن هذا الجدول ان الملك اشور ناصربال الثاني هو الذي حفره ثم كراه ووسع فيــه الملك اســرحدون (٦٨١ــ٦٦٩ ق٠م٠) فقد وجد لايارد في الطرف الخارجي من النفق لوحا من الحجر نقشت عليه كتابة تشير الى ان الملك اسرحدون قد جدد حفر الجدول (انظر التصوير رقم ٢١٠ ب) ٠

١٦ ــ تمثال اشوري لاله يحمل الاناء الفوار :

ان الاعتقاد الديني بان نعمة المياه هي منحة من الالهة الذين خلقوا الرافدين دجلة والفرات لفائدة البشر وتمثيل ذلك في شعار الاناء الفوار الذي ينبع منه الرافدين قد بقيا محترمين ومقلدين

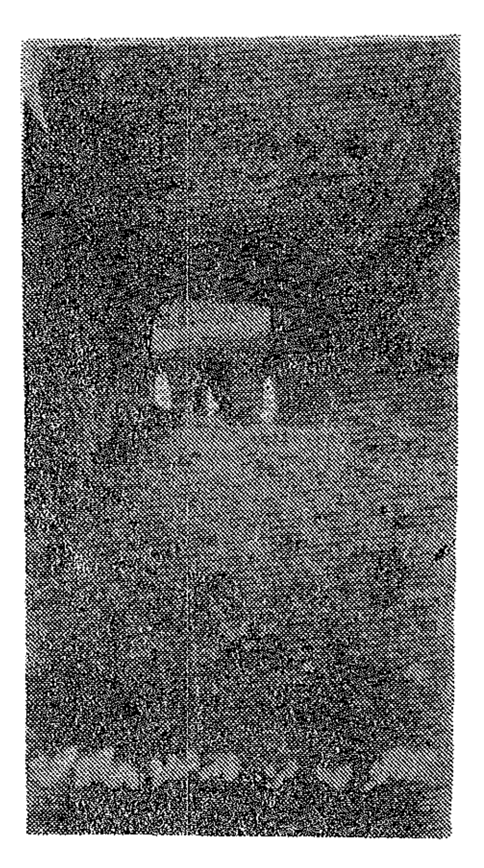
---

(٤٥) « كالح » ثانية عواصم المملكة الاشورية (اولاها اشور) اسمها القديم « كالحو » ورد اسمها في التوراة بصيغة كالح ، تعرف اطلالها محليا باسم نمرود ، تقع على الجانب الايسر من نهر دجلة على بعد حوالي ٣٢ كيلومترا من جنوب شرقي بلدة الموصل ٠ يعــزى تأسيسها الى زمــن الملــك شيلمنصــر الاول (١٢٧٤ــ١٢٤٥ ق٠م٠) وسعها اشور ناصربال الثاني عندما اتخذها عاصمة له عام ٨٧٩ ق٠م٠ كشف المنقبون فيها عن اثــار كثيرة منهــا قصــور المدينــة لاسيما قصــر آشور ناصر بال الثاني وهي منحوتات وعاجيات صنعت محليا في نمرود باطرزة فنية بديعة منها تمثال للملك شيلمنصر الثالث منحوت نحتا دقيقا ومكتوب بموجز لاعماله٠ وكانت كالح وآشور اول مدينتين تعرضتا لهجوم البابليين والماذيين في عام ٦١٤ ق ٠ م ٠اي قبل سقوط نينوى بعامين عمهما الدمار بعد سقوط الدولة الاشورية ٠

(٤٦) راجع في هذا الموضوع :

Layard, "Nineveh and its Remains," I, pp. 83-84; ———, "Discoveries," pp. 616-617; Preusser, Nordmesopotamische, pp. 2-3; Beitrage zur Assyriologie, III. 206-207.

سومر ، م٥ (١٩٤٩) ، ص ٣١٩ ــ ٣٢٠ ، سومر ، م١٧ (١٩٦١) ص ٩٥ ، الخوري افــرام عبدال ، « اثار قناة اشور ناصر بال الثاني المعروفة بـ « النقوب » اللؤلؤ النضيد ، ص ٢٠٩ــ ٢١٢ ٠



التصوير رقم (٢١٠ ب)

ـ منظر ناظم جدول النكوب من الداخل (D.S.) الذي انشيء في سنة ٨٨٠
ق.م. في عهد الملك اشور ناصربال الثاني . (انظر الفقرة ١٥) .

في العصر الاشوري ، ففي تمثال حجري آشوري مؤلف من قطعتين عثر عليه في قصر خرساباد يشاهد احد الالهة ، ولعل المقصود به هو الاله ايا نفسه او اله اخر ذو صلة بالمياه ، وهو ماسك بيديه الاناء الفوار والمجريان ينبجسان من الاناء ويجريان على جسمه من الامام في التمثال الايسر ومن الخلف في التمثال الايمن (انظر التصوير رقم ١٨٤ الفصل الثامن) .

١٧ ـ شعار الفرص المجنح الآشوري يحل محل الاناء الفوار

ومع ان شعار الاناء الفوار الذي ينبع منه المجريان لنهرى دجلة والفرات والمقترن بالاله « ايا » بقي محترما في العهد الاشوري كما ظهر لنا من التمثال الاشوري في التصوير رقم (١٨٤) الا ان تصميم مصدر المياه حور في النقوش الاشورية بحيث يلائم الظروف الطبيعية المحيطة بالوطن الاشوري في المناطق الشمالية من العراق والمتكونة من مناطق جبلية مرتفعة تعتمد على الامطار في زراعتها . ومن المهم ذكره في هذا الصدد انه في الوقت الذي كان الاله «ايا» اله المياه يرعى شؤون مجاري المياه ومن ضمنها البحار والانهر والمياه الجوفية كان يتولى الاله « شماش » اله

الشمس شؤون المياه في السماء ، فبعد ان كان الاول في مقدمة الالهة العظام واعظم آلهة «اريدو» في منطقة الاهوار في الازمنة السومرية احتل مكانته هذه في العهد البابلي الاله مردوخ اله بابل الشهير وكانت له الصدارة في البلاد ثم بعد ان هيمن الاشوريون على مقدرات العراق باسره صارت الاولوية الى الاله شماش اله الشمس الذي يسيطر على المياه في السماء ومن ضمنها الامطار التي كانت اهم عنصر في حياة منطقة آشور التي تعتمد في ارواء زروعها على الامطار . وفي الوقت نفسه تطورت النقوش على الاختام الاسطوانية والنحت على الحجر فحل محل شعار الاناء الفوار السومري المقترن بالاله « أيا » اله الماء الشعار الاشوري وهو القرص المجنح المتمثل فيه الاله آشور اله آشوريين والذي تنبعث منه مياه الامطار من السماء . (انظر الفقرات ١٣ ـ ٢٠ من الفصل الثامن وانظر التصاوير ١٨٤ ـ ١٩١ من الفصل نفسه) .

١٨ ـ الاشوريون والعرب

ان اقدم اشارة الى لفظة عرب وردت في الكتابات الاشورية على لسان الملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م.) وصف فيها حملته العسكرية على الدول التي تحالفت ضده من ملك دمشق والملوك الاراميين الذين كانوا يحكمون المدن السومرية وملك اسرائيل ورئيس قبيلة عربي اسمه « جنديبو » جهز الف جمل[٤٧] (انظر الفقرة ٥ من الفصل الخامس) . وقد عرفت هذه المعركة التي نشبت عام ٨٥٣ او ٨٥٤ ق.م. على نهر العاصي في سورية بموقعه القرقار، فوقعت معركة دموية شديدة هناك ، وكان النصر فيها للاشوريين وقتلوا من عسكر ملك دمشق وحلفائه ١٤٠٠٠ رجل او ٢٥٥٠٠ حسب رواية اخرى . قال شلمنصر في احدى كتاباته : «بالقوة العليه التي منحني اياها الرب آشور وبالاسلحة القاطعة التي سلمها الى تركال الماشي امامي اني حاربتهم وهزمتهم من حدود قرقر الى مدينة كيلزا . ووقعت باسلحتي من عساكرهم ١٤٠٠٠ محارب وانزلت عليهم طوفانا مثل الاله أدد وكومت جثثهم ، وغطيت وجه الارض باجنادهم العديدة واجريت دماءهم باسلحتي في شقوق الارض. ان الصحراء بانت صغيرة لا تسع جثثهم، والارض الواسعة لم تكف لقبورهم . فملأت نهراورونت (العاصي) باجسادهم ، وكأنني بها قد صارت عليه جسرا . وفي هذه الغزوة اخذت عرباتهم وخيلهم وحصنهم وجهازهم »[٤٨] . وفي قرقر يقول شلمنصر الثالث : « قرقر عاصمته الملكية انا خربتها انا دمرتها وانا حرقتها بالنار ١٢٠٠ مركبة ١٢٠٠ فارس ، ٢٠٠٠٠ جندي لهدد عازر صاحب ارام دمشق ! ... الف جمل لجندب العربي .. هؤلاء الملوك الاثنا عشر الذين استخدمهم لمعونته ، برزوا الى المعركة والقتال ، تألبوا على .. »[٤٩] .

---

(٤٧) D.D. Luckenbill, "Ancient Records of Assyria and Babylonia", Chicago, 1927, Vol. I, 661, Vol. II, 1, 118.

(٤٨) ادي شير « تاريخ كلدو وآشور » ، ج١ ، ص٦٩ ـ ٧٠ .

(٤٩) Luckenbill, op. cit., Vol. 1, p. 611.

ويلاحظ ان هذه التسمية القديمة للعرب جاءت مقرونة مع الجمل ، ولم تكن كلمة «عربي» تعني عند الاشوريين ما تعنيه عندنا من معنى، بل كانوا يقصدون بها مشيخة كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الاشورية كان حكمها يتوسع ويتقلص في البادية تبعا للظروف السياسية ولقوة شيخ القبيلة ، وكان يحكم الامارة العربية امير يقال له (جندبو) اي جندب وكانت صلاته سيئة مع الاشوريين • ولما كان من الصعب ضبط كيفية النطق بهذه الكلمة الواردة في النص الاشوري التي لم تحرك المقاطع ، فقد اختلف العلماء في كيفية النطق بهذه الكلمة فقرئت «اروب» (Arub) واربي (Arbi) واريبو (Aribu) واربي (Arabi) واوربي (Urbi) واربي (Arabi) الى غير ذلك[٥٠] • ومما ورد في اخبار الملك شلمنصر الثالث ايضا انه زحف نحو جنوبي جزيرة العرب واتصل بقبائل عربية تسكن ساحل الخليج العربي •

وقد تكرر ذكر العرب في سياق وصف الغزوات التي قام بها اخلاف شلمنصر الثالث ، فمن الحملات التي شنها تجلات بلاسر مؤسس الامبراطورية الاشورية الثانية (٧٤٥–٧٢٧ق•م•) حملته على مملكة ارام فاستولى على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق•م • وسبى اهلها وقتل ملكها «رصين» ثم توجه الى اسرائيل فاستولى على كل ارض فلسطين وسبى اليهود الى آشور تاركا لهم مدينة السامرة • وفي السنة الثالثة من حكمه شن حملات متعاقبة على بلاد العرب لاخضاع بعض ملوك العرب في البادية بغية تأمين سلامة الطرق التجارية فضرب الجزية على «زبيبي ملكة الارض الاربي» • وفي السنة التاسعة من حكمه قهر ملكة عربية اخرى من ملكات العرب اسمها « شمش » او « شمسة » ، ودونت سجلاته انه في عام ٧٢٨ ق•م• اتته الجزية من قبيلة « مساي » ومدينة « تماي » (تيماء) و « السباي » (سبأ) ذهبا وابلا وطيوبا[٥١] وهذه القبائل كانت تقطن في شبه جزيرة سيناء والبادية الواقعة في شمالها الشرقي •

وقد قام سرجون الثاني ملك اشور (٧٢٢–٧٠٥ق•م•) في السنة السابعة لحكمه باخضاع اقواما من الاعراب من جملتهم قبيلتا ثموذ واباديد الذين يسكنون البادية ولا يقرون كبيرا او صغيرا من الحكام فنكل بهم ونفى بقاياهم الى السامرة[٥٢] وتلقى في الوقت نفسه الجزية من شمسي ملكة بلاد العرب والقمرا زعيم سبأ وغيرهما من ملوك البادية « من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وبذور الاسفنذان وانواع الحشائش والخيول والجمال ، جزية ادوها صاغرين »[٥٣] • والقمرا هو احد آل ثيفي الذين كانوا يسمون ملكهم «مكرب» في نقوش

---

(٥٠) الدكتور جواد علي ، « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ١ : ١٦٩ •

(٥١) Luckenbill, op. cit., Vol. 1, pp. 317, 778-779.

(٥٢) Ibid., Vol. II, p. 17.

(٥٣) Ibid., Vol. II, p. 18.

عرب الجنوب الحجرية ، وكذلك خلفة « كربي ايلو » زعيم سـبأ الذي ادعى سنحاريب خلف سرجون الثاني انه أخذ الجزية منه .

ومن اقدم ما لدينا من مدونات تاريخية عن غزو جزيرة العرب مادونه سنحاريب خلف سرجون الثاني (٧٠٥–٦٨١ق.م.) فذكر انه غزاها سنة ٦٨٨ق.م. ويقول انه استولى على الف جمل من ملكة العربية المسـماة « تلخونو » (Telkhunu) في وسط الصحراء ، كما يدعي انه اخضع قبيلـة « خزاعل » (Khazail) مما اضطر العرب ان يهجروا خيمهم والهرب الى « ادوم » (Adamata) الواقعة في الصحراء . ويبدو ان سنحاريب قد قام بهذه الحملة العسكرية على الصحراء الممتدة شرقي ادوم العربية في اثناء غزوه مملكة يهوذا حيث احتل مدن يهوذا وحاصـر اورشليم ولـم يفك الحصار عنها الا بعد تسلمه الجزية من ملك يهوذا[٥٤] .

وفي نهاية حكم سنحاريب اخضع حزائيل ملك قيدار (كدري بالاشورية) واخذ تماثيـل آلهته واتى بها الى نينوى ، فشق ذلك على العرب حتى اضطر الملك حزائيل في بداية حكـم الملك اسرحدون (٦٨١–٦٦٩ ق.م.) خليفة سنحاريب ان ياتي الى نينوى وطلب بتواضع عميق ان يرد له تماثيل آلهته ، فاجاب اسرحدون طلبه بعد ان اصلح ما تعطب من التماثيل ونقش عليها اسم ومناقب اشور ربه وردها اليه، ثم اقام اسرحدون على القيداريين ملكة امرأة اسمها « طابويا » كانت قد تربت في نينوى وتخلقت باخلاق الاشوريين، وضم الى الخراج الذي ضربه عليهم سنحاريب ابو اسرحدون خمسة وستين جملا ، وبعد موت حزائيل اراد رجل من الاشراف اسمه « وهـاب » ان يجلس مكانه ، فحبسه اسرحدون وملك على العرب يعلو بن حزائيل وضرب عليه جزية يؤديها له كل سنة مقدارها عشرة امنان ذهبا والف حجر كريم وخمسون جملا[٥٥] .

وفي حوالي عام ٦٧٦ ق.م. اندلعت نيران الفتنة التي اوقدها « اويتع » ابن حزائيل الذي خلف والده في قيدار فاستولى عليها اسرحدون واضطر الثائر الى مغادرة مخيمه لينجو بنفسه ، ففر وحيدا الى الاصقاع البعيدة[٥٦] .

وفي سنة ٦٧٥ او ٦٧٦ق.م. توغل اسرحدون في الجنوب فادخل في جملة الولايات الاشورية بلاد بازو وخازو وقتل في خازو ثمانية ملوك وعاد في اثر ذلك الى آشور : « اني رجعت الى آشور بالهتهم وغنائم وكنوزهم ورعاياهم . وكان ليلي ملك باديا قد خلع طاعتي ، فلما بلغه اني اخذت الهته مثل بين يدي في نينوى عاصمة مملكتي فانحنى قدامي فغفرت له خطيئته ولاطفته ، واما آلهته فنقشت عليها تسابيح آشور ربي ورددتها اليه ، وسلمت له بلد بازو وامرته ان يؤدي لي

(٥٤) R.W. Rogers, "Cuneiform Parallels to the Old Testament". N.Y., 1912, pp. 345-346.

(٥٥) ادي شير ، مصدر سابق ج١ ، ص ١١٨ .

(٥٦) Luckenbill, op. cit., II, p. 946.

خراجا »[٥٧] . وقد اختلف العلماء في تعيين موقع بلاد بازو وخازو فبعضهم يرى انهما تقعان في جوار تيماء ، والبعض الاخر عين موقعهما في نجد كما رأى بعض الباحثين المحدثين ان ارض بازو هي الساحل المقابل لجزر البحرين اي جزيرة دلمون القديمة .

في عام ٦٧٠ق.م. حمل اسرحدون على الديار المصرية وكان قد ارسل خبرا الى شيوخ العرب لينتظروه في رافيا في اقصى بلاد فلسطين الغربية فجاؤا ومعهم جمالهم ليحملوا عليها ماءا للجيوش في طريقهم نحو مصر، وفي طريقه مربصور التي كانت جيوشه تحاصرها فشجعهم على المضي بمهمتهم ، ثم ساق جيوشه الى يفاق مدينة سبط شمعون وطاف بلاد العرب الغربية كي لا يترك العدو وراء ظهره ، وبعد ان دار ستة اسابيع في ارض قاحلة لا ماء فيها اثنى على رافيا ولم يزل ماشيا على الساحل حتى وصل الى حدود مصر حيث كانت طليعة عسكر المصريين فقاتلها اسرحدون وانتصر عليها . فبادر اليه ترهاق ملك مصر بجنوده كلها فاقتتلا قتالا شديدا وانكسر ترهاق، ثم بعد يومين انتصر اسرحدون نصرة اخرى على ترهاق وحاصر مدينة منف وافتتحها ونهبها . وكان الافتتاح سريعا حتى ان ترهاق لم يمكنه ان ينقل حاشيته الملوكية . فاسر الاشوريون الملكة وجواريها وولي العهد وغيرهم من اولاد الملك وافراد العائلة المالكة . وقد اناط اسرحدون مهمة جمع الجزية بعدد من الملوك المحليين وكان عددهم ٢٢ ملكا وبدل اسماء مدنهم المصرية باسماء اشورية وضرب عليهم خراجا سنويا مقداره ست وزنات من الذهب وستمائة وزنة من الفضة وكمية وافرة من الاقمشة الكتانية والمنسوجات النفيسة وجلود الحيوانات الوحشية والحصن والغنم والحمير ورجع الى بلاده بعدد لا يحصى من الاسرى وغنيمة لا تقدر . وفي عودته هذه المظفرة قضى على العصابات المصرية والحبشية التي كان يتكل عليها اهالي سورية . واقام على نهر الكلب بالقرب من بيروت تمثالا تذكاريا لغزواته نقشت عليه صورته بجانب صور رعمسيس الثاني ملك مصر وتجلات بلاسر الاول وشلمنصر الثاني ملكي آشور (المشرق ١٨٩٨ ص ١٠٨٩) . واقام في غير امكنة ايضا ابنية اخرى تذكارا لغزواته. وقد كشف (المشرق ١٩٠٦ص٢٥٥) على اثار في زنجرله تشاهد صورته وقد ركع قدامه ترهاق ملك مصر والحبشة وحليفه بعل ملك صور وفي انفيهما حلقة علامة العبودية ومكتوب عليهما وصف انتصاره على مصر والحبش ما نصه : « اما ترهاق صاحب مصر والحبش فاني سرت من اشخوري الى منف عاصمة ملكه . وتعقبت جيوشه وضربتها كل يوم دون انقطاع على مسير خمسة عشر يوما اما هو فضربته بالقوس والسيف وجرحته جرحا مميتا . وحاصرت مدينة منف قاعدة ملكه وفتحتها رغما عن مناجيقها ثم نهبتها وحرقتها » . وبعد نصرته هذه العظيمة لقب اسرحدون نفسه بالملك العظيم والملك القدير وملك العالم وملك اشور ونائب ملك بابل وملك سومر واكد وملك كردونياش وملك مصر وملك الكوشيين (الحبش).

(٥٧) ادي شير ، مصدر سابق ، ١ : ١١٨ .

وكان اسرحدون قد اتكل على الملوك المصريين الموالين له ومنهم نخا الاول ملك صعيد ومنف . واما ترهاق فمنذ انكساره لم يزل يتجهز للمحاربة فلما كانت سنة ٦٦٩ ق.م. حمل السلاح على منف وافتتحها دون مشقة . اما نخا وامراء الدلتا فبقوا أمينين مع الاشوريين. وكان اسرحدون طريح الفراش لما بلغه هذا الخبر . ومع ذلك جمع جيوشا وقصد مصر ولكن لما وصل الى سورية تغلب عليه المرض ومات .

ان اسرحدون مع كونه غازيا كان مولعا ايضا بالبناء فعمر مدينة بابل وزخرفها في اول سنة من ملكه ، وبنى ايضا وكرس في اشور واكد ستة وثلاثين معبدا طلاها كلها بصفائح ذهبية او فضية وجعلها تتلألأ كالشمس . وبنى ايضا لنفسه قصرا فاخرا في نينوى فاق جميع القصور المبنية قبلا . فان أثنين وثلاثين ملكا من ملوك سورية وفلسطين وفينيقية وجزيرة قبرس ارسلوا اليه قرم الصنوبر والارز والسرو . وكان سقف القصر مبنيا بخشب الارز ومنقوشا بنقوش متنوعة وهو يستند على اعمدة من سرو مطوقة بالذهب والفضة . وعلى الابواب تماثيل اسود وثيران من حجر ، ومصاريع الابواب كانت من الابنوس والسرو ومرصعة بالحديد والفضة والعاج ، وكان الاشوريون قد استغربوا كثيرا ابا الهول الذي رأوه في مصر. فاقتدى اسرحدون بالمصريين وصور مثله صورا كثيرة ووضعها على ابواب القصر وانتهت عمارته في ثلاث سنين (٦٧١ — ٦٦٩ ق.م.)[٥٨] .

بعد موت اسرحدون ملك ابنه اشور بانيبال ٦٦٩—٦٢٦ ق.م. اما ترهاق فقد مات سنة ٦٦٦ ق.م. في نافاطا حيث هرب فخلفه صهره تندماني فنزل النهر ليستولي على مصر ، وحاصر مدينة منف وافتتحها وانتصر على الاشوريين وعلى حلفائهم وتتبعهم حتى الدلتا ، وقتل نخا في هذه المعركة وهرب ابنه الى سوريا ، وتحصن امراء مصر كل واحد في مدينته منتظرين ان تاتيهم النجدة من اشور .

وقد رأى اشوربانيبال قبل توجيه حملته على مصر ان يخضع الاقوام الذين حالفوا بابل ضد اشور وبدأ في العرب وفوض الامر بذلك الى حكام ادوم ومؤاب وعمون وحوران ودمشق ، فحملوا عليهم وقهروهم في كل الجهات وادخلوهم في طاعة اشور وقبضوا على كثير من امرائهم وارسلوهم الى نينوى[٥٩] .

وفي الحملة التاسعة التي خرج بها اشور بانيبال على القبائل العربية كان النصر حليفه فالقى القبض على اويتع بن حزائيل وجيوشه بعد عراك طويل ودون لنا خبر حملته هذه فقال ما نصه : « اشتدت عليهم وطأة الجوع ولكي يسدوا رمقهم اكلوا لحوم صغارهم ... وكان تساؤل اهل

---

(٥٨) المرجع السابق ، ج١ ، ص ١١٩—١٢٢ .
(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

بلاد العرب فيما بينهم ، فقال الواحد لاخيه : مابال بلاد العرب قد احدق بها هذا الشر المستطير ؟ فاجابه قائلا : تلك عاقبة نكثنا العهد الوثيق الذي قطعناه لاشور »[٦٠] •

ويخبرنا اشور بانيبال كيف صنع بالاسير اويتغ قال : « حبسته في مربط الكلاب • اويته مع بنات آوى (؟) واقمته على حراسة الباب في نينوى[٦١] » ••• وكان اويتغ حليف ابيتغ سيد الانباط فزحف اشور بانيبال وقواته عليهم وطاردهم « في رمضاء البادية وقيظها حيث لا ترى طيور السماء وحيث لا يرى الغير (حمار الوحش) ولا الغزال »[٦٢] •

وفي سنة ٦٦٩ حمل اشور بانيبال حملته العنيفة على مصر وبلاد العرب فحاصر ملك صور وقطع عنه الطعام والماء كما حاصر عكا اثر تمرد اهلها واحتلها ويدعي في تسجيلاته انه علق جثثهم على أعمدة في اطراف المدينة وأسر الكثير منهم واخذ العديد منهم الى اشور واستخدمهم في جيشه • ويقول في مدوناته انه بدأ حملته من نينوى عاصمته فعبر دجلة والفرات وهما في حالة فيضان فتمكن من فتح منف من جديد ولحق بترهاق حتى مصر العليا واستولى على طيبة العاصمة الجنوبية لمصر وبذلك خضعت مصر جميعها للحكم الاشوري • ويدعي اشور بانيبال في مدوناته انه قطع الصحراء وتوجه الى العربيةالجنوبية ووصل الى مجان وملوخا بعد ٤٩ يوما في طريقة اليهما واخضع اهليها المتمردين • وقد وردت تسمية مجان وملوخة في المصادر القديمة لمنطقة عمان الحالية الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب • وقد عثر على موضع في اقليم عمان الحالي يسمى ميجان يقع في المنطقة قرب ساحل الخليج العربي من عمان والبحرين في فم واد طويل يسمى وادي شهبة ومما ذكره اشور بانيبال ان بعض جنوده لدغتهم افاعي ذوات راسين وزحافات مربعة تدف باجنحتها [٦٣] • وقد ورد في التوراة ذكر هذه البهائم (الافعى والثعبان الطيار) في سفر اشعيا (٦ : ٣٠)واكد هيرودوتس ان الافاعي منتشرة في جميع اقطار العالم ، خلا الحيات المجنحة فلا تراها الا في بلادالعرب حيث احتشدت كلها هناك[٦٤] •

ومما اشتهر به اشور بانيبال ولعه ومحبته للعلوم الكلدانية واهتمامه بالحضارات البابلية اكثر من سابقه ، فقد أسس في عاصمته نينوى مكتبة ضخمة جمع فيها كل ما وجده من النصوص القديمة في المعابد الجنوبية واستجلب من مكاتب بابل وغيرها من المدن الكلدانية كل ما وجدوه من الكتب القديمة في اداب الكلدانيين وعلومهم وصنائعهم وتواريخهم ودياناتهم واستنسخها كلها فانشأ مكتبة فاخرة جليلة •

---

(٦٠) Luckenbill, op. cit., Vol. II, p. 558.
(٦١) Ibid., p. 819.
(٦٢) Ibid., p. 823.
(٦٣) R.W. Rogers, op. cit., pp. 353-360; Luckenbill, op. cit., II, 558.
(٦٤) Bk. III, Ch. 109.

وقد عثر على هذه المكتبة في قوينجق قريبا من الموصل بين اخربة قصور نينوى القديمة وكان الذي قام بالتنقيب عن هذه الآثار المستر لايارد في سنة ١٨٤٦ ثم تبعها رولنسون ورسام وسميث وبدج الى كنج في السنة ١٩٠٣ ، وقد بلغ عدد الالواح المكتشفة حوالي ٢٠,٠٠٠ لوح نقلت كلها الى لندن عاصمة الانكليز .

وقد عهدت ادارة المتحف البريطاني في لندن الى الدكتور بزولد بتدوين قائمة الالواح المسمارية التي وجدت في نينوى وانجز هذا العمل بعشر سنوات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٩ فبين فيه ما تحتويه مكتبة نينوى هذه من الاعلامات والفوائد لتاريخ بلاد ما بين النهرين مع تذييلات وتصحيحات الى غير ذلك مما الفه اصحاب المكاتب المحكمة الترتيب الراقية من الحضارة(٦٥) ... وتعد هذه المكتبة من اقدم المكتبات في العالم ان لم تكن اقدمها فقد سبقت عصرنا منذ نحو الفين وستمائة سنة في تنظيم المكتبات وتمويتها بالكنوز الادبية(٦٦) .

وبعد وفاة اشور بانيبال جلس مكانه ابنه اشورتيليلياني، ثم نحو سنة ٦٢٠ ق.م. ملك اخوه سينشاريشكين، وفي ايامه خربت نينوى وانحطت ثم انقرضت دولة اشور . وتشير كتب مؤرخي اليونان ان ملك الماديين كواصار نظم امور الجند وقسمهم الى مراتب مثلما كانوا عليه في آشور وحالف نبوبلاسر ملك بابل وحمل على الاشوريين وقهرهم وشد الحصار على نينوى سنة ٦٢٦ فحمل كواصار ونبوبلاسر على اشور . وكانت الدائرة على الاشوريين فتحصنوا في نينوى فشد عليها الحصار الماديون والبابليون واقاموا تحت اسوارها مدة سنين حتى افتتحوها . واما الملك سينشاريشكين المار ذكره فضاق صدره ولم يرد ان يقع اسيرا بيد الاعداء فشعل النار في قصره وباد بها . وكان سقوط نينوى بيد الجيوش المادية والبابلية سنة ٦١٢ ق.م.(٦٧) .

ومن عيوب السياسة الاشورية كما يشرحها أدي شير في كتابة «كلدو واثور» (ص١٣٨ــ١٣٩) « طمعهم المفرط في افتتاح البلدان دون اخذ الراحة ابدا . فان سرجون الثاني وسع المملكة توسيعا عظيما ، وابنه سنحاريب مع كونه مشغولا دائما في اطفاء نيران الفتن والعصيان في

---

(٦٥) G. Bezold, "Catalogue of Cuneiform Tablets of the Kouyunjik Collection of the British Museum", London, 1889-1890; M. J. Menant, "La Bibliotheque du Palais de Ninive", Paris, 1880.

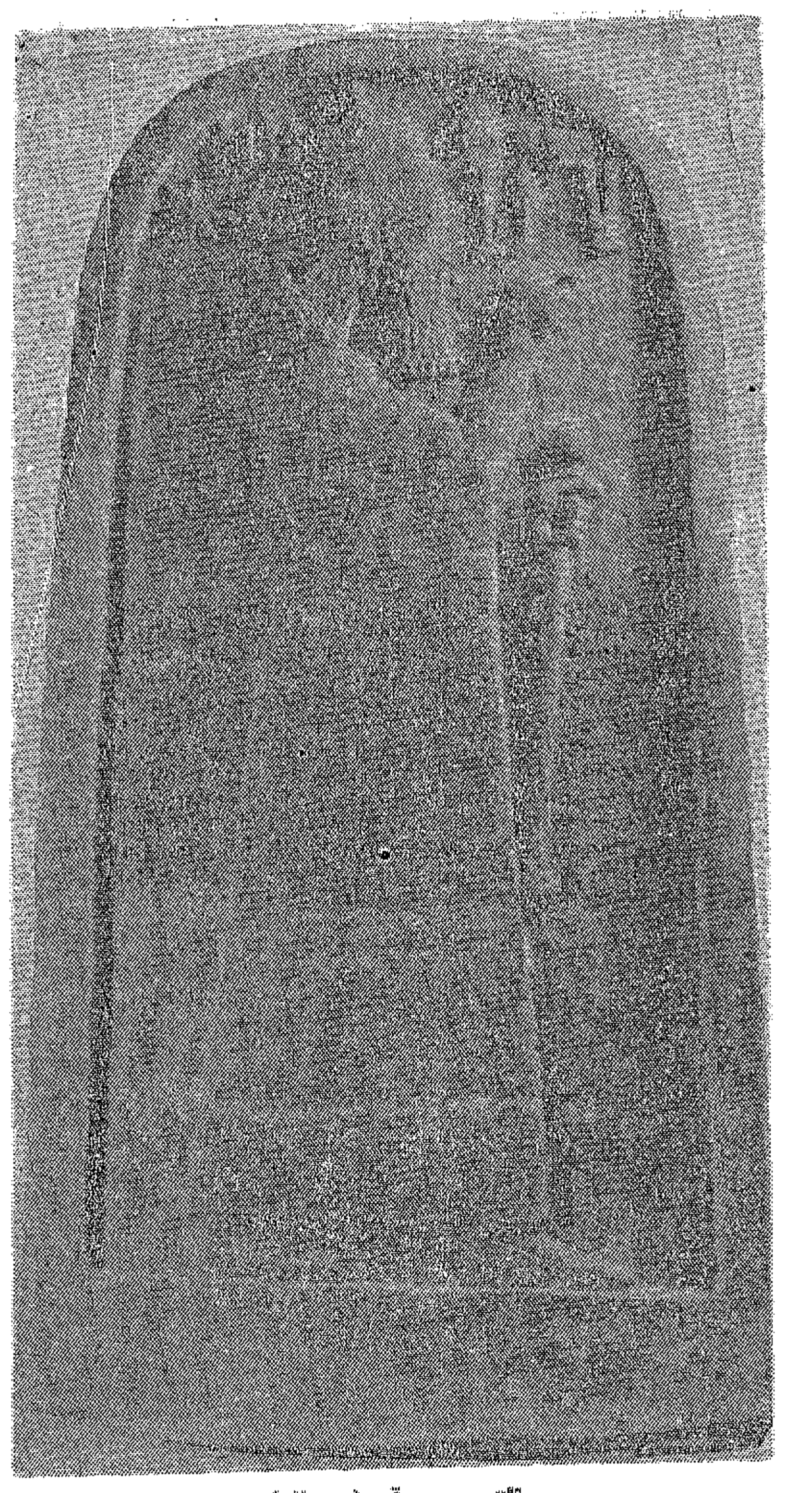
(٦٦) المشرق ١٩٠٥ ، ص ١٨٦ .

(٦٧) ادي شير ، مصدر سابق ، ١٣٥ ــ ١٣٦ .

جميع انحاء مملكته اراد اخضاع العرب والمصريين ايضا . واسرحدون حمل على مصر وافتتحها . واشور بانيبال قبل ان يفرغ من امر مصر حارب اخاه في بابل وزحف على عيلام ونهبها . فالمحافظة على كل هذه البلاد الواسعة الارجاء المختلفة الحركات والاطوار كانت صعبة الى الغاية . فضلا عن ان اولئك الشعوب كانوا ميالين الى العصيان . فالاشوريون بدلا من ان يعمروا البلاد المفتوحة ويصلحوا احوالها كما تطلب السياسة الحقيقية كانوا هم بالعكس يوقعون فيها الخراب والدمار » .

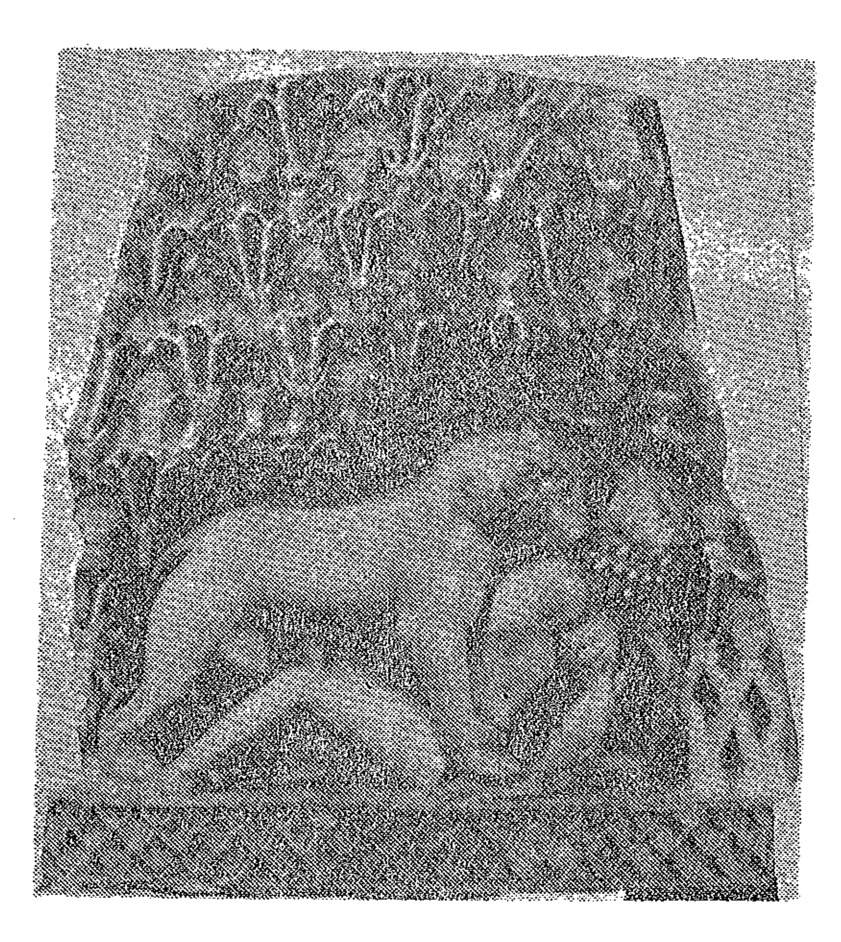
وفي ذلك يقول الدكتور سامي سعيد الاحمد في مقاله المنشور في سومر بعنوان « لماذا سقطت الدولة الاشورية ؟ » (م ٢٧، ١٩٧١، ص ١١٥—١٢٧) : « ومن اسباب تدهور قوة اشور وضعفها اتساع امبراطوريتها الكبير والبعد الكثير من حدودها من المدن التي اتخذت عواصم رسمية للامبراطورية في اشور ، كالح (نمرود) دور شروقين ونينوى . فقد امتدت ممتلكاتها الى داخل اسيا الصغرى وشملت سورية وفلسطين وجزءا من اسيا الصغرى غربا وشمالا وحتى مصر في زمن اسرحدون واشور بانيبال . وقد لقي اسرحدون في اواخر حياته صعوبة كبيرة في اخضاع مصر اليه حيث انه مات وهو في طريقة لاخماد ثورة حدثت فيها . ورغم اخماد ولده وخليفته للثورات المتعاقبة في مصر فقد استقلت هذه بعد احتلال الجيوش الاشورية لها بحوالي خمسة عشر عاما . وكانت مشكلة ارسال الجيوش الى الاصقاع البعيدة عن مركز الامبراطورية من مشاكل التعبئة الرئيسية التي واجهها الملوك الاشوريون في العصر المتاخر ... والحقيقة التي انكشفت وصارت واضحة هي ان الملوك الاشوريين لاقوا منذ زمن سرجون الثاني صعوبة في أيجاد العدد الكافي من الاشوريين فبديء منذ زمنه باستخدام مرتزقة وأسرى وعبيد في صفوف الجيش باعداد غفيرة ومن مختلف الاصناف » وقد سبق ان اشرنا الى أن اشور بانيبال بعد أن انتصر على مصر وبلاد العرب في حملته عليهم سنة ٦٦٩ أسر الكثير منهم وحمل العدد منهم الى آشور واستخدمهم في جيشه .

(انظر التصاوير ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٠ أ) .



التصوير رقم (٢٠٥)

مسـلة من الرخام كبيرة الحجم للملـك الآشوري اداد نيراري الثالث (٨١١ – ٧٨٣ ق.م.) نقشت بصورة الملك وهو واقف والى جانبي رأسه رموز بعض الالهة وفي القسم الاسفل من المسلة كتابة تذكر اسم الملك والقابه واعماله وفتوحاته . وجدت في تل الرماح (انظر الفقرة ١٧) .



التصوير رقم (٢٠٦)

لوح من العاج يمثل نحتا بارزا مطعما بالذهب والعقيق واللازورد من نمرود ويرجع تاريخه الى حوالي ٧١٠ ق.م. محفوظ في المتحف العراقي وهو يمثل امراة نوبية تفترسها لبوة .



التصوير رقم (٢٠٧)

وجه فتاة من العاج دقيق الصنع ، عثر عليه في خرائب العاصمة الاشورية نمرود « كالح القديمة » . (القرن الثامن قبل الميلاد) .



التصوير رقم (٢٠٨)
وجه فتاة من العاج مطعم بحجم كبير وجد
في نمرود ويرجع زمنه الى نحو ٧٢٠ ق.م



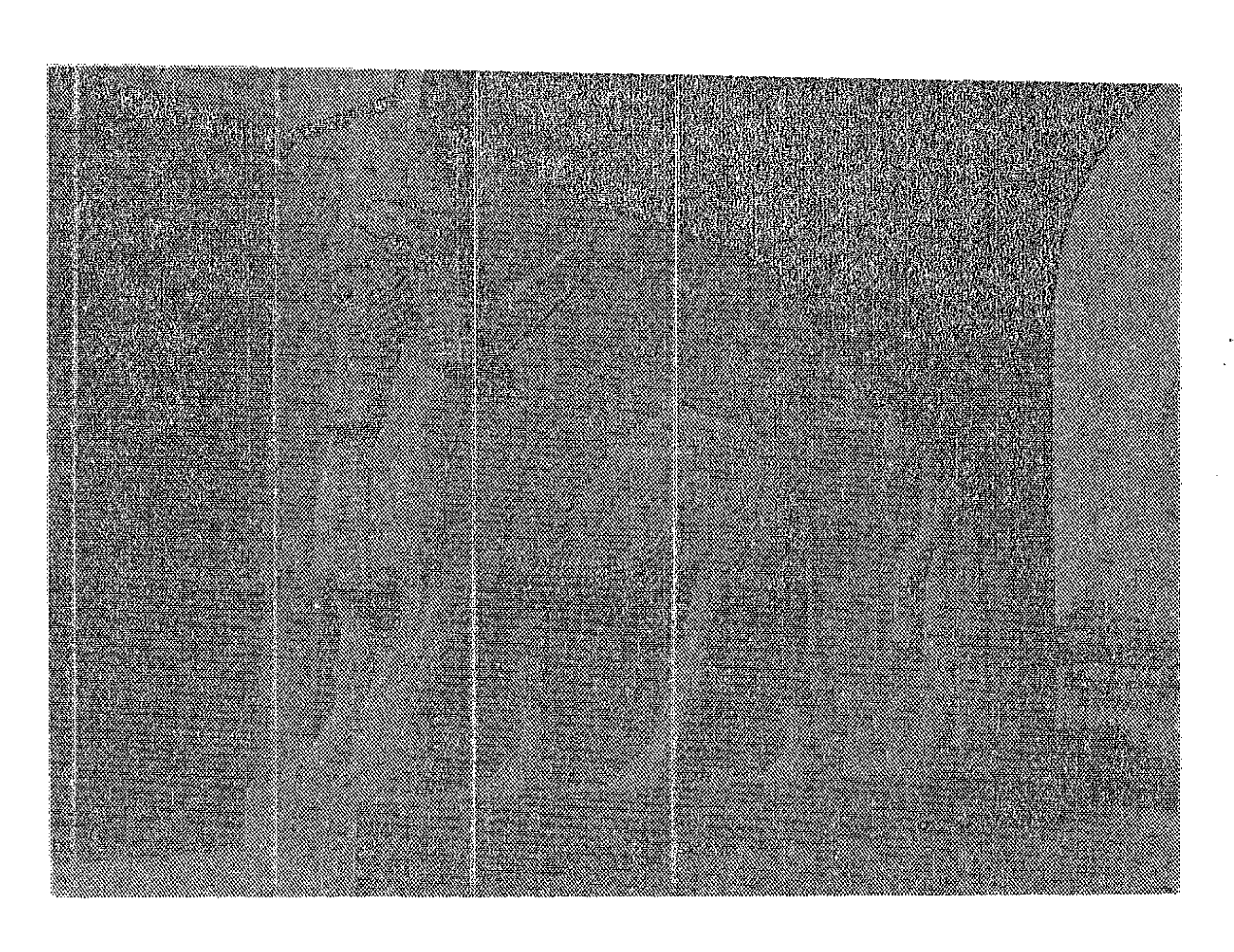
التصوير رقم (٢٠٩)

لوح مستطيل من العاج دقيق الصنع يمثل الملك الاشوري اشـور ناصربال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٨ ق٠م٠) ٠



التصوير رقم (٢١٠)

نحت بارز من حجر الموصل يمثل منظرا من مناظر صيد الاسود ويعود تاريخه الى القرن السابع قبل الميلاد وهو محفوظ في المتحف البريطاني ٠



التصوير رقم (٢١٠ أ)

تمثال ثور مجنح يزين في الوقت الحاضر باب المتحف العراقي الجديد في الصالحية ، وقد جلب من قصر سرجون الثاني في عاصمته خورساباد ويقدر زمنه بنحو ٧١٠ ق.م.